قَضَايَا الذَّاتِ
وَدَلَالَتُهَا فِي
شِعْرِ مَعَرِّي الْكُوَيْتِ
(صَقْرِ الشَّبِيبِ)

دكتورة

فاطمة عيسى الأحول

مدرسُ الأدبِ العربيِّ والنقدِ

بكليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبناتِ

جامعة الأَزهرِ

قضايا الذات ودلالتها في شعر معري الكويت (صقر الشبيب)

الباحثة

فاطمة عيسي الأحول

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

ملخص :

الحمد لله رب العالمين علي عظيم نعمائه ، وجليل آلائه ، ووافر عطائه، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد ،(صل الله عليه وسلم).

منذ بداية تدفق الثقافة الغربية وسريانها في حياض الثقافة العربية في العصر الحديث ، بدأت كثير من المفاهيم تشق طريقها في حقول دراستنا الأدبية ، وتخط لنفسها خطوطًا على صفحات فكرنا الأدبي . من تلك المفاهيم " الذاتية " .

والشعر يرتبط فى أولي وظائفه بالتعبير عن ذات صاحبه ، حين يستجيب لبواعث الإبداع فى تجسيد أحاسيسه وانفعالاته التى تتباين بتباين المواقف الإنسانية، فتتلون القصيدة برؤيته وتجربته الخاصة التى يري بها العالم من حوله .

ومفهوم الذاتية من المفاهيم التى تخلقت في المذهب الرومانسي، وتعنى انشغال الأديب بقضاياه الخاصة دون الاهتمام بقضايا مجتمعه ومشكلاته الواقعية ، وهذا يعني كون الشاعر منعزلًا عن مجتمعه ، منعكفًا علي نفسه لا يشعر إلا بها ، ولا يفكر إلا فى خصوصياته الشديدة الالتصاق بواقعه الخاص المتصل بذاته اتصالًا شديدًا .

وبهذا ليس من عيب أن نحكم على الشاعر بأن شعره ذاتي ، طالما أن شعره أثار فينا مشاعر شبيهة بمشاعره التي دفعته للبوح بالشعر، وليس من عيب أن يكون الشاعر استأثرته قضاياه الخاصة ، فراح يعبر بها عن ذاته ، فالشعر ما هو إلا نقل تجربة الشاعر إلي الآخرين التي لا مانع من أن تكون مماثلة لتجارب القارئ .

أما عن تركيز الدراسة علي " شاعر الكويت " أو" معري الكويت" " صقر الشبيب "؛ فلأنه أبرز شعراء الكويت المعاصرين الذين بذلوا الجهود من أجل التحديث في القصيدة الكويتية المعاصرة ، وجاء شعره تعبيرًا لإرضاء ذاته ، وتعبيرًا عن أحاسيسه وخواطره وشدة انفعاله النفسي بسبب عماه من ناحية وفقره من ناحية أخري ، ولم يكن له حيلة للتخلص من عاهاته إلا الرضا والصبر بما كتبه الله .

وفي ظل ما تقدم جاء هذا البحث" : "**قضايا الذات ودلالتها في شعر صقر الشبيب**"، فحاول الكشف عن قضايا الذات الخاصة بالشاعر، والكشف عن مدارج الذات لديه؛ ، وإظهار الخصائص الذاتية ودلالتها النفسية في شعره .

وقد تأسس البحث علي محورين يسبقهما تمهيد بعنوان : **وظيفة الشعر في التعبير عن قضايا الذات** . وأتبعته بنبذة مختصرة عن حياة الشاعر .

وجاء الفصل الأول ، بعنوان : (قضية العمي وأثرها في شعر صقر الشبيب) ،

وتحدثت فيه عن علاقة العمى بالذات الشاعرة ، ومدي شكوي الشاعر من هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره ؛ مما أدي به إلي إيثار الوحدة

والانفراد والاعتزال عن مجتمعه وعن قومه واغترابه النفسي، كما وضحت خلال عرضي لهذه القضية أثر العمى في التصوير الفنيّ عند الشاعر، ودلالته علي نفسية الشاعر .

وجاء الفصل الثاني : مختصًا **(بقضية الفقر وأثرها في شعر الشبيب):**

وفيه تناولت علاقة الفقر بالذات الشاعرة ، ومدي شكواه من الفقر والتمايز بين الطبقات ، وسيطرة الحزن والألم وأثرهما علي ذات الشبيب.

وقد اتبعت المنهج التحليلي النفسي؛ ليحاول الوقوف على أهم الملامح الذاتية التي وردت من خلال قصائد الشاعر، والكشف عن جماليات النصوص محل الدراسة وكشف بواطنها وفهم ما تحويه من مكونات وحقائق وأبعاد دلالية .

The issues of self and its significance in the poetry of Maari Kuwait (Saqr Al shabeb)

Researcher

Fatima Issa Al Ahwal

Faculty of Islamic and Arabic Studies Girls in Kafr El Sheikh

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, for the greatness of His grace, and the greatness of His angels, and the abundance of his gifts, and the prayers and peace upon our master Muhammad.

Since the beginning of the flow of Western culture and its flow in the Arab culture in the modern era, many concepts began to make their way in the fields of our literary study, and lines themselves lines on the pages of our literary thought. Of those "self" concepts.

The poetry is linked to the first functions by expressing the same owner, when responding to the motives of creativity in the embodiment of his feelings and emotions, which vary with different human positions, Vttlon poem vision and experience of the special that sees the world around him.

And the concept of self-concepts created in the romantic doctrine, and concern the writer's preoccupation with his own issues without attention to the issues of society and problems of realism, and this means that the poet isolated from the community, not aware of himself does not feel it, and think only in the privacy of the very adhering to his own reality related to the same connection Severe.

Thus, it is not a shame to judge the poet that his poetry is subjective, as long as his poetry aroused in us feelings similar to his feelings that led him to the hair, and it is not a shame that the poet took his own issues, so he expresses himself, poetry is only the transfer of the experience of the poet to others Which do not mind being similar to the reader's experiences.

As for the focus of the study on "poet of Kuwait" or "Maarie of Kuwait" "Saqr al-Shabib"; because it is the most prominent contemporary poets of Kuwait who made efforts for modernization in the contemporary Kuwaiti poem, and his poetry was an expression to satisfy himself, expressing his feelings and thoughts and emotional intensity because of his mother On the one hand and poverty on the other hand, and did not have a trick to get rid of his disabilities, but the satisfaction and patience with what God wrote.

In light of the above, this research came as follows: "The issues of self and its significance in the poetry of Saqr al-Shabib". He tried to reveal the poet's self-issues, to reveal his self-trajectories, and to show the self-characteristics and psychological significance of his poetry.

The research was founded on two axes preceded by a preface entitled: The function of poetry in expressing self-issues. I followed him with a short biography of the poet.

The first chapter, entitled: "The issue of blindness and its impact on the hair of Saqr al-Shabib"

And I spoke about the relationship of blindness, especially the poet, and the extent of the poet's complaint of this defect suffered by him since his youth; which led him to altruistic unity and exclusivity and abandonment of his society and his people and psychological entrenchment, as explained during my presentation of this issue the effect of blindness in the artistic photography of the poet, The poet's psyche.

The second chapter: specialist: (the issue of poverty and its impact in the hair of the young)

In which he addressed the relationship of poverty, especially poet, and the extent of his complaint of poverty and differentiation between classes, and the control of grief and pain and their impact on the same young.

It has followed the psychological analytical approach; to try to identify the most important self-features that were received through the poems of the poet, and the disclosure of the aesthetics of the texts under study and revealed the intonation and understanding of the contents of the components and facts and dimensions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين علي عظيم نعمائه ، وجليل آلائه ، ووافر عطائه، والصلاةُ والسلامُ علي سيدنا محمدٍ أفصحِ العربِ لسانًا ، وأوضحِهِم بيانًا ، وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين .

وبعدُ

فمنذ بداية تدفق الثقافة الغربية ، وسَريَانِها في حِيَاضِ الثقافةِ العربيةِ في العصر الحديث ، بدأت كثيٌر من المفاهيم تشق طريقها في حقول دراستنا الأدبية ، وتخط لنفسها خطوطًا على صفحات فكرنا الأدبي . من تلك المفاهيمِ " الذاتيةُ " .

والشعر يرتبط فى أُولَى وظائفه بالتعبير عن ذات صاحبه ، حين يستجيبُ لبواعثِ الإبداعِ فى تجسيدِ أحاسيسِهِ ، وانفعالاته التى تتبايَنُ بتبايُنِ المواقفِ الإنسانية، فتتلون القصيدة برؤيته وتجربته الخاصة التى يرى بها العالمَ من حوله .

ومصطلحُ " : الذاتية " أساء فهمَه بعضُ النقادِ ، حيث اعتقدوا أنَّه يعني الفرديةَ بمعناها المجرد فهاجم بعضهم الشعراء الذين اتسم شِعْرُهُم بالملامح الذاتية؛ فأطلقوا الأحكام على شعرهم بأنه ذاتيٌّ (فرديٌّ) ، وأنَّه لايتطرق إلى قضايا المجتمع ، ثم ظهر من تصدى إلى كل من رمى الذاتيةَ بالفرديةِ ، وأعاد للكلمة هيبتَها ، وحقوقَها المهضومةَ.

وبهذا ليس من عيب أن نحكم على الشاعر بأنَّ شعرَهُ ذاتيٌّ ، طالما أنَّ شِعْرَهُ أثارَ فينا مشاعرَ شبيهةً بمشاعرِهِ التي دفعته للبوحِ بالشعرِ، وليس من

عيب أن يكون الشاعرُ استَأْثَرَتْهُ قضاياهُ الخاصةُ ، فراح يعبر بها عن ذاته ، فالشعر ما هو إلا نقلُ تجربة الشاعر إلي الآخرين التي لا مانع من أن تكون مماثلة لتجارب القارئ ، كما أنّ قضايا الذات الشاعرة هي بلا شك جزءٌ من قضايا المجتمع إذا أثارت في الآخرين مشاعرَ مشابهةً .

أما عن تركيز الدراسة على " شاعر الكويت " أو" مَعَرّي الكويت" " صقر الشبيب "؛ فلأنه من أبرز شعراء الكويت المعاصرين الذين بذلوا الجهود من أجل التحديث في القصيدة الكويتية المعاصرة ، وجاء شعره تعبيرًا عن أحاسيسه وخواطره لإرضاء ذاته وتلبيةً لانفعالاته النفسية نظرًا لظروف حياته التى ألمت به كَفَقْرِهِ وعَمَاهُ ، ولم يكن له حيلة للتخلص من عاهاته إلا الرضا والصبر بما كتبه الله .

وفي ظِلّ ما تقدم جاء هذا البحثُ" : "**قضايا الذاتِ ودلالتُها فِي شعرِ صقرِ الشبيبِ**"، محاولًا الكشفَ عن قضايا الذات الخاصةِ بالشاعرِ، والكشفَ عن مدارج الذات لديه؛ ، وإظهارَ الخصائصَ الذاتية ودلالتَها النفسية في شعره .

وقد تأسس البحثُ علي محوَرَيْنِ يسبقُهُما تمهيدٌ بعنوانِ : **وظيفة الشعرِ في التعبيرِ عن قضايا الذاتِ** . وأتبعته بنُبْذَةٍ مختصرةٍ عن حياةِ الشاعرِ .

وجاء الفصلُ الأولُ ، بعنوانِ : (قضيةِ العَمَى ، وأثرِها في شعرِ صَقْرِ الشبيبِ) .

وتحدثتُ فيه عن علاقَةِ العَمَى بالذاتِ الشاعرةِ ، ومدى شكوى الشاعر من هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره ؛ مما أدى به إلي إيثار الوحدة ، والإنفراد والإعتزال عن مجتمعه ، وعن قومه ، واغترابه النفسي ، كما

أَوْضَحْتُ خلالَ عرضِي لهذه القضيةَ أَثَرَ العَمَى فِي التصوير الفنيّ عند الشاعر، ودلالته على نفسية الشاعر .

وجاء الفصلُ الثاني : مُخْتَصًا **(بقضيةِ الفقرَ ، وأثرِها فِي شعرِ الشبيبِ) :**

وفيه تناولتُ عَلَاقَةَ الفقرِ بالذاتِ الشاعرةِ ، ومَدَى شكواهُ منَ الفقرِ، والتمايُزِ بينَ الطبقاتِ ، وسيطرةَ الحزنِ ، والألمِ ، وأَثَرَهُمَا علي ذاتِ الشبيبِ .

وقد اتَّبَعْتُ المنهجَ التحلِيلِيَّ النَّفْسِيَّ؛ لأحاولَ الوقوفَ على أَهَمِّ الملامحِ النفسيةِ التي وَرَدَتْ مِن خِلَالِ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ، والكشفِ عن جمالياتِ النصوصِ محلِّ الدراسةِ ، وكشفِ بواطِنِها ، وفهمِ ما تحويهِ من مكوناتٍ ، وحقائقَ ، وأبعادٍ دَلَالِيَّةٍ ، وذاتيةٍ ترتد إلى أبعادٍ نفسيةٍ عميقةٍ .

ثم جاءت الخاتمةُ موضحةً لأهَمِّ النتائِجِ التي تَوَصَّلْتُ إليها مِن خِلَالِ البحثِ ، يليها ثَبَتٌ بالمصادِرِ ، والمراجِعِ .

هذا واللهُ من وراءِ القَصْدِ ، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سواءِ السَّبِيلِ .

الباحثةُ

فاطمةُ عيسَى الأحول

تمهيد :

وظيفةُ الشعرِ فِي التعبيرِ عن قضايا الذاتِ .

ارتبط مفهوم (**الذات**) قديمًا بمفهوم النفس أو العين [١]، فذاتُ الشيءِ نَفْسُهُ، وعَيْنُهُ ، أي في حقيقتِهِ ، ومَاهِيَّتِهِ ، أَو سِمَاتُهُ الأساسيةُ التي تجعلُ منُه شيئًا مُعَيَّنًا، وليسَ شيئًا آخرَ [٢].

ولكي نتفهم المقصودَ بـ (**قضايا الذاتِ**) التي هي الأساسُ الذى تقومُ عليهِ الدراسةُ ، نرانا مضطَرّينَ إلى ضرورةِ الإشارةِ إلى مفهومِ الشعرِ عندَ النقادِ ، وبيانِ محاولاتِهم فى تحديدِ أنواعِهِ ، وعلاقةِ ذلك بالذاتِ .

إن أول مايتلقاه دارسُ الأدبِ العربيّ من تعريفِ الشعرِ، وتحدِيدِ أنواعِهِ ، ووظيفتِهِ ، هو أن " الشعرَ ديوانُ العربِ ؛ سجلوا فيه حروبَهم وأخبارَهم ، وعاداتِهم وعقليَّتَهُمْ ، ودَوَّنَ فيه الشاعرُ ما رأَى ، وَمَا شَعُرَ، ومَزَجَ فيه الحياةَ التي حولَهُ بمشاعِرِهِ ؛ فهو صورةٌ لحياتِهِم الإجتماعيةِ ، والأدبيةِ ، وتمثالُ خواطِرِهِم الحقيقيةِ ، والخياليةِ ، فكان الشاعرُ إذا امتدحَ القبيلةَ يعلنُ مَنَاقِبَها ، ويَذُودُ عن حِيَاضِهَا ، ويُنَافِحُ عَن شَرَفِها ، ويَحْمِي حِمَاهَا، وكانَ الشعرُ في الحربِ كموسيقَى الجيشِ تثيرُ فِي النفوسِ الميلَ للقتالِ ، وتبعثُ على

---

(١) ينظر : المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، ١٤٠٢هـ،١٩٥٢م باب الذال ، مادة (ذات) ص٨٧ . ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) : أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة – بيروت، **جـ ١ / ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨م** ، ص٣٧ .

(٢) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، د/ عبدالواسع الحميري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط١ ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م . ص١١ .

الإسْتِبْسَالِ " (١).

وهذَا المعنَى للشعرِ يَلُفُّهُ بِرِدَاءِ الْجَمَاعَةِ ، ويُبْعِدُهُ عنِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي تُعَبِّر عَنْ تَجْرِبَتِهِ ، فَذَاتُ الشَّاعِرِ إِذَنْ هِيَ " أَنَا " الشاعرِ الحقيقيةِ أو الموضوعيةِ بكونهِ كائنًا مزدَوَجَ " الهويّةِ " أو " الشخصيةِ " ، كما أنه يُبِيحُ للدَّارِسِ الحكمَ عَلَى الشاعِرِ الذى يَتَغَنَّي بذاتِيَّتِهِ ، وخصوصياتِ حياتِهِ بأنه شاعرٌ محصورٌ فى همومِهِ ، وأنه مفصول عن الجماعةِ ، وبالتالي فإن أَشْعَارَهُ لا تكونُ ذاتَ قيمةٍ إذا ما أُضِيفَت إِلَى رصيدِ الأمةِ ؛ لأنها بذلك تُعَدُّ تَكْرَارًا لصورةِ (الْأَنَا) ، وإن تَزَيَّنَت بأثوابٍ مختلفةٍ ، « وما يزالُ النقادُ منذُ عُرِفَ النقدُ يتعرَّضُونَ لوَضْعِ التعريفاتِ المختلفةِ للفن عامة ، والشعر خاصة ، وطبيعيٌّ أن هذه التعريفات كانت تختلف ،

أو تتفاوت في مدى صِحَّةِ فَهْمِها للفنِّ الشِّعْرِيِّ باختلافِ النقادِ ، وتفاوُتِ أمزِجَتِهِم،

وثقافاتِهِم ، وعقلياتِهِم ، وظروفِهِم العامةِ ، وقد أشار إلى ذلك " سير موريس بورا M.Bowra فى كتابه " تراث الرمزيةِ The Heritage of Symbolism " فقال : " لم يجد أحدٌ . حتى أرسطو . تعريفًا كافيًا للشعر ، ونحن جميعًا نعرف ماذا يكون الشعرُ ، ولكن سرعانَ ما نجد أن فكرتَنا عنه لا يشاركُنا معاصرونا إيَّاها فَضْلًا عن كبارِ النقادِ فى الماضي فكلُّ تعريف يبدو فى الوقتِ نفسهِ واسعًا جدًا وضَيِّقًا جدًا ، والحقيقةُ أن نظريةَ الشعرِ ، ومُزَاوَلَتَه تختلفانِ من عصرٍ إلى عَصْرٍ ، فهو يعيشُ بالتعبيرِ ، وهو دَائِمُ التجدُّدِ بما يُدْخِلُ فيه من مستوياتٍ جديدةٍ، وفنٍّ جديدٍ ، وما كان كافيًا لفترة

---

(١) قصة الأدب في الحجاز : عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى: مكتبة الكليات الأزهرية ، ص٢٤٤ .

من الفتراتِ لا يمكنُ أن يَكْفِيَ أخرى ، وبنظرةٍ عامة يبدو أن مفهوم الشعر يتأرجح بين طرفين " التعليم والتأثر " (١).

ونَجِدُ الناقدَ حريصًا على أن يَعْرِفَ طبيعةَ الشعرِ معرفةً أقربَ ما تكونُ إلَى الحقيقةِ ، وهو فى هذه المحاولةِ تكونُ نتائجُهُ أصدقَ ما تكونُ عندما يَنْتَهِيَ إلى تلك القوانينِ الداخليةِ لذاتِ العملِ الشعريّ .

فالشعرُ يُنْظَرُ إليه –بَدْءًا– على أنه ينقسمُ إلَى قِسْمَيْنِ كَبِيرَيْنِ تَبَعًا لِمَوْقِفِ الشَّاعِرِ، **شعر ذاتي** ، **وشعر موضوعي** ، فإذا تناول الشاعر المادة الخام لموضوعه تناولًا موضوعيًا –أي من حيث هي قائمة خارج شخصيته الخاصة ومستقلة عنها– فإن الشعر قد يكون قصصيًا أو وصفيًا، فإذا تناولها ذاتيا، أي: من حيث هي –بصفة أولية– تجربة شخصية، فإن الشعر يكون غنائيا (٢).

فالشعر الذاتي يتحدث فيه الشاعر عن نفسيته ووجدانه ونزعاته، ويسمى غنائيًا، ويلمس كل جوانب الحياة ، اقترابًا من تلك النواحي الذاتية الضيقة، إلى النواحي الإنسانية ..... .

يقول أحمد أمين : « وهناك مبادئٌ أولية لتقدير الشعر الغنائي ، وهى أننا يجب أن نبحث عن طبيعة العاطفة التي توحيه ، والطريقة التى يعبر بها الشاعر عنها ، إذ الشعر الذاتي يجب أن يمتعنا بعاطفته الممتازة ويجب أن يؤثر الشاعر فينا بإخلاصه التام في التعبير ، بينما لغته وخياله يجب أن

---

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ، د/ عز الدين إسماعيل ، ط٣ ،١٩٧٤م ، دار الفكر العربي ، ص٧٥ بتصرف .

(٢) الأدب وفنونه – دراسة ونقد ، عز الدين إسماعيل ،ط٣ ١٩٧٤م، دار الفكر العربي ص ٨٤ .

يتميزا بالجمال والحيوية والتناسب والانسجام بين الموضوع والذات .....

وعلى الرغم من أن أساس الشعر الذاتي هو الشخصية فإنه يجب أن نتذكر أن أغلب الأشعار الذاتية العالمية العظيمة تدين بمكانتها فى الأدب إلى حقيقة أنها تتضمن ما هو إنساني أكثر من شخصيته وفرديته، حتي ليجد كل قارئ لها تعبيرًا فى التجارب والعواطف التى يستطيع أن يشارك فيها ، وفى هذه الحالة لا نحتاج أن نضع أنفسنا مكان الشاعر فالشاعر قد أراحنا بوضع نفسه مكاننا ، والدراسات التى عنيت بالأدب فى جميع عصوره دلتنا على أن الشعر الذاتي بدأ بالرغبة في التعبير عن العواطف القبلية ، أو الجماعية لا الفردية »[١] .

وتعني الذات عند الأدباء والنقاد عمومًا« التعبير عن نزعات النفس الإنسانية بأسلوب تظهر من خلاله"العلاقة المباشرة بين النص والذات المنشئة، من جهة إحالته على الشاعر المنشئ له، بتعبيره عادة عن ضمير المتكلم مباشرة » [٢].

ويقصد (**بالذات الشاعرة**) « حقيقة الشاعر وهويته الشخصية بوصفه إنسانًا متميزًا أو موهوبًا ، أو بوصفه كائنًا اجتماعيًا تنهض به إمكانية التفرد ، وهو في الوقت ذاته يحيا عضوًا فى جماعة إنسانية ينتمي إليها ، ويدخل فى سلسلة من التنظيمات التي أوجدتها ضرورة الاجتماع البشري في مرحلة

---

(١) النقد الأدبي ، أحمد أمين مكتبة النهضة المصرية، ط٣ ، ١٩٦٣م ص٧٧ ، ٧٨ بتصرف .

(٢) الشاعر والذات المستبدة ، د. صالح زيّاد، ط عالم الكتب الحديث، الأردن ١١٣٤ هـ، ص٢١ .

معينة من مراحل التطور الاجتماعي » [١].

أي تفاعل الذات الشاعرة مع قضايا المجتمع بالإضافة إلى قضاياها الذاتية بخاصة ، فنحاول الاقتراب من تلك الذات من خلال القول ، ومدى توحدها به أو جدلها معه ، أو توحدها بالعالم عبر إمكانات اللغة الإبداعية، ولا نتعامل معها من خلال تعاليها على عالم القول وعزلتها عنه ، أو مفارقتها إياه ، ومن ثم تقترب منها من خلال تخلقها بواسطة اللغة .

يقول د/ عبدالقادر القط « وليس المراد بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها . وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية . بل أن يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس ، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس الإنسانية»[٢].

والشعر الذاتي يتحول شيئًا فشيئًا بطرق غير محسوسة إلى الشعر التأملي الفلسفي ، وقد تظل فيه صفات العاطفية والحيوية ، وانسجام اللغة والتصوير ، ولكن بالإضافة إلى ذلك يجب تقدير القيمة المادية للفكرة ومبلغ نجاح الشاعر فى التعبير عنها تعبيرًا شعريًا .

كما أن الذاتية فى الأدب تعني " العكوف على النفس وتحليلها " ولما كانت أنفس الشعراء وقدراتها فى التعامل مع الأحداث المحيطة بها مختلفة، كان التمايز بين شاعر وشاعر ، بل إنها لتكون أبعد من ذلك وأوضح تمايزًا واختصاصًا حتى داخل النتاج نفسه نتيجة اختلاف المؤثرات التى يجد الشاعر نفسه واقعًا تحت تأثيرها ، فتارة نجده متمردًا وأخرى هادئًا ، وتارة

---

(١) الذات الشاعرة فى شعر الحداثة العربية ، ص١٢ .

(٢) الاتجاه الوجداني فى الشعر العربي المعاصر د/ عبدالقادر القط ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٨م ، ص٢٦ .

حزينًا ... وأخرى فرحًا ؛ وذلك لأن « الفردية أو الذاتية هى التي تميز الفن من العلم ، عند النقاد وعلماء الجمال هي العنصر الأساسي الذى يجعل الفن عند خلقه يتسم بسمة الأصالة : التى هى مجموعة الخصائص الفردية المميزة للأشخاص ، إن هذه الأصالة هى التى تطبع الأدب بطابع الذات ، وهى التى تجعل فى كل أثر فنى صورةً متميزةً تحمل روح كاتبها ومزاجه ولفتات ذهنه وقدراته على التعبير ، ومدى ما يتصف به من صفات فنية مختلفة » (١) .

ومعنى هذا أننا نقبل القضايا فى الشعر من أجل الاستجابات العاطفية التى تثيرها فينا هذه القضايا ، فأساس الشعر هو ذاتية الشعراء ، فكثيرًا ما نرى تلوينات تتباين فيها أحاسيس الشعراء من أبناء الإقليم الواحد والعصر الواحد ، وما ذلك إلا دليل على أن لكل شاعر طابعه الذاتي الذى يعبر به عن مشاعره وعواطفه وخلجات نفسه .

يقول ألدوس هكسلي : « إن أحد ردود الفعل الطبيعية التى تعترينا عقب قراءتنا لمقطوعة جيدة من الأدب يمكن أن يعبر عنه بالمسلمة الآتية: هذا هو ما كنت أشعر به وأفكر فيه دائمًا ، ولكنني لم أكن قادرًا على أن أصوغ هذا الإحساس حتى ولا لنفسي »(٢) .

وهذا القول يكشف عن أثر الذاتية فى الفن من جانبين أساسيين: **أولهما:** « أن الفن وإن كان يصدر من ذات واحدة فإنه يهدف فى نتيجته إلى إشراك أكبر عدد من الناس فى التمتع بالأثر الفني ، ومن هنا كانت الآثار الفنية

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د/ محمد زكي العشماوى ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩م ، ص٢ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص٥ .

الرائعة هى التى تظفر باستجابات أكبر عدد من الناس وتمحو ما بينهم من فروق فى التقدير ، **وثانيهما:** أن الذاتية التى نتحدث عنها والتى لابد منها فى سبيل تحقيق الموضوعية الفنية الحقة لا يمكن أن تتأتى إلا إذا توغل الأديب أو الفنان فى أعماق الإنسان : الإنسان الأول ذلك أن تعمق الأديب فى ذاته إنما هو تعمق فى ذات الإنسان الذى يرقد فى أعماقنا جميعًا ، فعلى الرغم من أن لكل شاعر خصائص فردية مميزة فإن فيهم جميعًا إنسانًا واحدًا يتمثل فى هذا المخلوق المحدد الطاقات اللامتناهى الرغبات والنزعات ، كل هذا يتمثل فى الذات الإنسانية ، وقد تزخر هذه الذات بعواطف حزينة، أو سعيدة، أو متشائمة، أو مغتربة.....، بناء على حدث نفسي عاشته فحفزها على الإبداع الأدبي في لحظة شعورية ما، حيث تحكم المواقف الشعورية التي عايشها الأديب على حالات الذات في النص، فتتنوع بتنوعها، إذ يتجاذبها القلق أو الاستقرار، وقد تتسم باليأس أو الأمل، كما تتشكل صورتها في هذه الحالات، فتكون سافرة واضحة في تعبيرها، أو قد تكون مقنعة متخذة من الموضوع الشعري معادلاً موضوعيا للتعبير عن رؤاها، وهذا كله خاضع لطبيعة الموقف الشعوري الذي يعيشه الشاعر ولثقافته النفسية والاجتماعية التي يتحدد بها أسلوب معاشرتة الشعرية لهذا الموقف. ..... » [١].

ومن هنا يتضح **علاقة الذات بالشعر** فجُلُّ الفنون الإبداعية تنبع من ذات إنسانية متميزة، لها قدرة فذة على خلق إبداعٍ متفرد، والشعر هو أحد هذه الفنون بلا شك " والعمل الأدبي هو مجموعة التعبيرات النفسية والنزعات الاجتماعية السائده ، كما أنه صورة نفسية لشخصية الشاعر أو الأديب ؛ لأن الإيصال للمتلقي وإفراغ دواخله دافعان متلازمان وشرطان ضروريان

([١]) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ص٦ بتصرف .

لبروز الفن ورغبة الأديب في أن ينفس عن عاطفته ورغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كل من يتلقاها نظير عاطفته"[١] .

من هنا لا يمكن فصل الأدب عن الذات ، ، فالأديب الواعي يتخذ من نتاجه الأدبي منهلًا يعبر فيه عن همومه ورغباته وعواطفه لإيصال تجربته في المتلقي، حتي يعيش معه السامع بكل أحاسيسه ووجدانه وسعة خياله .

(١) المدخل إلي علم النفس،عبدالله الحي موسي،ط٤ ، مكتبة الخانكي بالقاهرة ١٩٩٤م ،ص٣١.

معري الكويت " صقر الشبيب " فى سطور

مولده وحياته :

ولد صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري في الحي الشرقي من مدينة الكويت ، في عام ١٨٩٤ م ، وقد فقد بصره وهو في التاسعة من عمره إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه ، ولد لأسرة فقيرة من قبيلة شمَّر القحطانية ، وهى القبيلة التى تسكن مدينة حائل في المملكة العربية السعودية، ثم هاجر جده إلي الكويت ، فولد الشاعر في الكويت ، وعاش فى أسرة تتكون من أب وأختين بعد وفاة والدته ، كان الشبيب أملًا لأبيه فى مساعدته علي تحمل أعباء الحياة ، فقد كان والده يزاول الغوص فى أيام شبابه وفتوته [١] .

درس في الكتَّاب وقضي سنة ونصف السنة في الأحساء يتلقي فيها علوم الدين واللغة حفظ القرآن الكريم ، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء ، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة ، وكثيرًا ما يردد على مسامع ابنه **(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)** [٢]، فقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليهِ بموهبةِ الحفظ وشغفِ المُطالعة، غيرَ أنّ انشغالهُ بالقراءةِ والشعرِ أثارَ غَضب والده الذي كانَ ككثيرٍ مِن عامة الناس، يتخوفُ من الثقافةِ، ويرى بأنها تُلهي عن ذكرِ اللهِ –جلّ شأنه– فألحّ على

---

(١) ينظر ديوان صقر الشبيب ، جمعه وقدم له أحمد البشر الرومي ، ط٢ الكويت ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠٠٨م ، ص١٣ . والشعر في الكويت ، د/ سليمان الشطي ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، العدد ٤٠٩، ٢٠١٤م ص٢٥ بتصرف .

(٢) سورة الشعراء آيه رقم (٣٢٤) .

ابنه فى الانضمام إلى قراء الموالد والذكر ، غير أن الابن لم يقبل برغبة أبيه؛ ولهذا السبب وأيضًا لتحاشي الصدام مع والده، تجنب صقرٌ مجالسةِ والدِه

**** دراسته في الأحساء :**

كان صقر يعاني معاناة ثلاثية الأبعاد ، معاناته من عماه ، ومن موت أمه، ومن سخط أبيه عليه ، الأمر الذي دفعه للسفر إلى الأحساء التي كانت قبلة لطلاب العلم الشرعي فى ذلك الوقت ، وكانت منهلًا للعلوم الشرعية واللغوية .(١)

بدأت رحلته فى الأحساء مع رجل يدعى " محمد حمد الرومي " على سفينة شراعية ، نقلتهم إلي البحرين ، ثم العجيز للوصول إلى مقصدهم ، والتحق بهما رجل ثالث هو" عيد بدّاح المطيرى " ، لكن الشبيب عاد ولم يستكمل دراسته فيها ، فقد عاد متذمرا يقول في إحدى قصائده (٢) :

لئن عُدْتُ للأحساءِ يومًا فإنني لَأَلْأَمُ خـلْـقِ اللهِ طُرا وأَفْجَرُ

فقد أوضح أنه كان يعاني مرارة الغربة فيها ، فيقول « عندما كنت هناك لا يصح لي أن أناقش الشيخ في مسألة ما ، فعلي أن أسمع وأطيع وأحفظ فقط ... يقول : ومما يزهد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين إلي حد يكاد يخرجهم عمّا درج عليه السلف من علماء المسلمين ، فهناك كل شيء حرام أو مكروه وليس فى قاموس الحياة عندهم شيء اسمه

---

(١) الصورة الفنية في شعر صقر الشبيب ، للباحث حامد محمد خصيوى المطيري ، إشراف أ.د/ سعود محمود عبدالجابر للعام الجامعي ٢٠١١، ٢٠١٢م ، ص٣٥.

(٢) ديوان صقر الشبيب ، ص ١٥ .

التسامح.... » [١].

وعند عودته من الأحساء عمل واعظًا فى أحد المساجد ، مما أسهم فى رضا أبيه عليه ، إلا أنَّ مطالعاته للشعر والأدب لم تنقطع، الأمر الذي خلق توترًا مع والده، فترك الوعظ وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراستها بشرح بن عقيل، على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد فى النحو ، حتى أتم دراستها وفهمها فهمًا جيدًا ، وكان الشيخ يوليه العناية التامة ويقدمه في مجلسه ، ويزوره إذا انقطع عن المجلس[٢] .

وفتحت له معرفته بالشيخ الدحيان آفاق الشعر والأدب ، فكان يجلس في بيته يستقرئ دواوين بعض الشعراء التي استطاع أن يحصل عليها ، وساعده في ذلك من يزوره من أصدقائه ، فانطلقت شاعريته منذ ذلك الحين[٣] .

وكانت قراءات الشاعر تتنوع بين القديم والحديث ولم تقتصر على عصر دون عصر ، فقرأ للنابغة ، وامرئ القيس ، وأبي نواس ، والمتنبي، والبحتري ، وأبي العلاء المعري الذي ظهر أثره في شعره ، ولم يكتف بذلك بل قرأ للشعراء المحدثين مثل أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وإسماعيل صبري ، والزهاوي، والرصافي .... وغيرهم ممن ظهر أثرهم فى شعره [٤].

وهكذا ثقف نفسه ، وجملها علي ما يشتهي ويميل ، فكان محبًا للغة

---

(١) ديوان صقر الشبيب ، ص١٤ . ١٥ .

(٢) المرجع السابق ص١٦ .

(٣) ديوان صقر الشبيب ، ص١٤ . ١٥ .

(٤) الشعر الحديث في الكويت إلي عام ١٩٥٠، مشاري عبدالله السجاري- وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٨. ص١٤٥ .

العربية حتي إنه كان يضيق بمن يلحن أمامه أثناء حديثه باللغة الفصحى، وكان لوفاة والده عام ١٩١٨م الأثر البالغ في تحول حياته ، فقد أصبح مسؤولًا عن أختيه في بيت خرب ، الأمر الذي دفعه إلى طلب العون والمساعدة من الآخرين ، فأمر الشيخ سالم المبارك الصباح ببناء بيته الخرب الذي ورثه عن أبيه بعد أن طلب منه الشاعر المساعدة بقصيدة منها [١] .

فَيَا فَرْحَتِي إِنْ نِلْتُ عِنْدَكَ حَاجَتِي وَيَا حَسْرَتِي إِنْ لَمْ أَنَلْهَا وَيَا خُسْرِي

عمل الشاعر في وزارة المعارف التي خصصت له غرفة فيها لتدريس قواعد اللغة العربية ، فكانت غرفته تعج بالطلبة الدارسين ، وانقطع بعد ذلك عنها ولزم بيته الجديد ، وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما ، وبقي في هذا البيت وحيدًا ، فانصرف للمطالعة ، ونشر أول قصيدة له في مجلة " المرأة الجديدة " التي كانت تصدر في بيروت ، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدعون أنهم من رجال الدين ، متخذين من هذه القصيدة سببًا لمعاداته وإيذائه [٢] :

يَضُرُّ النصحُ فِي هذا الزمـان فَيَا لَيْتنـي خُلِقْتُ بِلَا لِسَانِ

إِذَا مَا قُمْتُ أَنْصَحُ بَيْنَ قَوْمِي لَقُونِي بِالْأَذِيَّةِ وَالْهَوَانِ

وَخَلُّوا فِي الدِّيَانَاتِ افْتِرَاقـا يَؤُولُ بِكُمْ إِلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ

يقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد " قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل إذ فهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقًا بين المسلم والكافر ، حتى قال بعضهم : كنت شاكًا فى كفره وتدهُره ، أما الآن فقد اتضح لي ذلك

---

(١) ديوان صقر الشبيب ، ص١٨ .

(٢) الشعر في الكويت ،سليمان الشطي ،ص٢٥ .

"(١) .

وقد كان على علاقة مميزة مع عبد العزيز الرشيد ، والشيخ عبد الله السالم الصباح ، وأحمد البشر الرومي ، إذ كان بَيْتُهُ مجاورًا لبيت أحمد البشر الرومي ، فكان البشر يقرأ له الكتب ومنها نظرات المنفلوطي وعبراته وبعض كتب الرافعي، وقرأ ديوان المتنبي والمعري (٢) .

لاقى العديد من المصاعب في حياته، وكان من الداعين إلى الفهم الصحيح للإسلام مع " يوسف بن عيسى القناعي " ، " وأحمد البشر الرومي " ،" وعبد الملك المبيض " ،" وعبد العزيز الرشيد" .

انْزَوَى على نفسِهِ ، وذلك بسبب رفض المجتمع لأفكاره، وقد اتهم بالكفر والإلحاد بسبب تسفيه رجال الدين، وكان من بين ثلاثة شعراء اتهموا بالكفر وهم " فهد العسكر" " وعبد المحسن الرشيد" .

**** السيرة الشعرية لصقر الشبيب .**

لم يصدر لصقر الشبيب في حياته أيُّ ديوانٍ شعري، رغم قصائده العديدة، ومسيرته الشعرية الطويلة، حتى إن ديوانه الذي نُشِرَ عام ١٩٦٩م، لم يشمل سوى مختارات اختارها الناشر أحمد البشر الرومي من بين قصائد صقر الشبيب المكتوبة بخط اليد (٣) .

يُصنَف صقر الشبيب على أنه من شعراء المرحلة الثانية من مسيرة

---

(١) تاريخ الكويت تأليف ، عبدالعزيز الرشيد ، مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ١٩٧٨م ص٣٧٧ وما بعدها بتصرف .

(٢) الشعر في الكويت ، د/ سليمان الشطي ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، العدد ٤٠٩، ٢٠١٤م ص٢٥ بتصرف .

(٣) شعر صقر الشبيب–دراسة وتحليل ، أحمد عبدالله العلي، ذات السلاسل ، ط١.ص١٦٢ .

الشعر التقليدي في الكويت، وتبدأ هذه المرحلة بافتتاح أول مدرسة في الكويت أوائل ١٩١٢م، وإنشاء أول مكتبة أهلية سنة ١٩٢٣م، وأول نادٍ أدبي في السنة نفسها، كما بدأت المجلات والصحف العراقية والمصرية بالوصول للكويت في هذه المرحلة (١).

وأهم ما يميز شعر صقر الشبيب عن شعر غيره من شعراء الكويت الذين ينتمون للمرحلة نفسها، أنه قد عني عناية كبيرة بالحديث عن نفسه، في قصائد راح يبث عبرها شكواه من الناس والدنيا والفقر والعمى.

وقد كان في شعره منحازًا إلى دعوات التحرر والانفتاح والأخذ بأسباب التقدم، ويحتفي بالمجددين ويجند شعره لدعوتهم (٢).

من هنا تنوعت موضوعات شعر صقر الشبيب، وغلب عليها الأغراض التقليدية التي يقوم عليها الشعر العربي من مدح ورثاء وهجاء إلا أنها لا تخلو من بعض التجديد عبر البحث والتعمق والاستجابة للأحداث التي تتابعت في العشرينيات ، وما بعدها، كقضية فلسطين وقضايا الوحدة العربية والتحرر من نيران الاستعمار الغربي.

---

(١) الديوان ص٤٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) الشعر الحديث في الكويت إلى عام ١٩٥٠م ،ص١٥٣ .

** أخلاقه :

تتضح أخلاق صقر الشبيب من خلال شعره، ومن خلال أصدقائه، ومن هؤلاء أحمد البشر الرومي يقول عنه " كان عاطفيًا حاد الشعور رقيق الإحساس، وكان ينفر أشد النفور من أن يبقى في ذمته شيءٌ لأحد "[١] ، لقد كان شاعرنا مرهف الحس منذ نعومة أظفاره مما جعله يتألم في حياته أكثر من غيره، فمن الواضح أن كثيرًا من الناس قد اشتركوا معه في مشاهدة المآسي والأحداث لكنَّ وَقْعَها يكون أشدَّ على النفس كلما كان إحساسُ صاحبها رقيقا مرهفا [٢] .

وحين اكتمل وعيه اتضح له أن رقة إحساسه هي سبب شقائه في هذه الحياة، وإلى هذا أشار بقوله [٣]:

فَمَا دِقَّةُ الإحساسِ إلا بَلِيَّةٌ إنْ عدَّها نَعْمَاءَ كُلُّ امْرئٍ غِرِّ

فَلَوْ لَمْ يَدِقَّ الْحِسُّ مِنِّي لم يَعُدْ على صِغَرِي يَبْيَضُّ ما اسْوَدَّ مِنْ شَعْرِي

كما يتبين فى شعره يقظة الضمير، والإحساس العميق بمعاناة الآخرين ، وتلك الأمور لا يحسها إلّا من عانى مرَّها، من فقر، وألم ، ومرض ، وحاجة إلى المساعدة ، وهى الإنسانية في أعلَى معانيها .

---

(١) المرجع السابق ص٢٨.

(٢) مجلة الكتب العربية، مقال بعنوان ، وقفة مع الكاتب صقر الشبيب ، بقلم عبدالرزاق البصير ، بتاريخ ١٢/١ / ١٩٩٣م .

(٣) الديوان ص ٣٥٩.

** زواجه .

تزوج في حياته ثلاث مرات ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمه، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر ثم تطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فطلقها ، ويعزو أسبابَ الطلاقِ إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان(١).

** وفاته :

فضل صقر الشبيب العزلة والجلوس وحيدًا؛ لأنه كان يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دِينٍ يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السُّكُوتُ عنها ، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يَهْوُون ، وأن يتكلم بما يحبون ، وهو يريد أن يكون حرّا ويفعل ما يشاء؛ لذا لزم بيته بعد أن مَلَّ من الحياةِ ، وسئم العيش فيها ويتضح ذلك في قصيدته (العُزْلَة) يقول(٢).

وَجَدْتُ الانْفِرادَ يُرِيحُ نَفْسِي فَمِلْتُ بِجُمْلَتِي لِلانْفِرَادِ
فَرَرْتُ مِنَ اجْتِماعاتِ الْبَرَايا وَبِي مِنْهُنَّ مَوْجَعَةُ الفُؤَادِ

ومن هنا أصبح الشاعر لا يطيق الحياة فى الدنيا ، في السنوات السبع الأخيرة من عمره ، وفي عام ١٩٦٣ م تنبه صديقه إلى الهزال الذي ظهر عليه ، حيث كان الشاعر يرجو الموت وفراق الحياة ، وكان يتطلع إلى الرحيل عنها ، وفى الأيام الخمسة الأخيرة أصابه مرض شديد ، ولم يستعن كعادته بالأطباء ، ونبه علي خادمه ألّا يخبر أحدًا بمرضه ، فطلب من

---

(١) الديوان ص ٣١.

(٢) المرجع السابق ص٢٩٩.

خادمه إناءَ ماءٍ ، وأن يغلق الباب عليه ويأخذ المفتاح معه ، فلما عاد الخادم في اليوم التالي وجده ميتًا ، وذلك في يوم الأربعاء الموافق ، ١٩٦٣/٨/٧م ، فدفن ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين وهكذا انتهت حياة معري الكويت " صقر الشبيب " (١) .

(١) المرجع السابق ص٣٨.

المحور الأول

قضيةُ الْعَمَى وأَثَرُها فِي شعرِ صَقْرِ الشَّبِيبِ

****علاقة العمى بالذات الشاعرة :**

الفن مسألة تعبير ، وهو استجابة لمؤثرات خارجية أو داخلية تقع على الحواس، وقد يكون المشهد الذي يرسمه الفنان مرئيًا أو مسموعًا أو ملموسًا أو غيره ، يدفعه للتعبير عنها بوسيلة أو بأخرى ، إما شعرًا أو رسمًا أو موسيقى أو رقصًا ، أو غيره، وهو في كل هذه الأحوال ينتزع الصورة الفنية مما حوله ، ويحاول نقلها كما أحس بها ، وكلما كان التأثير واقعيًا على كل الحواس ، كان التعبير أكثر أبعادًا ، وأدق دلالةً ، وأصدق إيحاءً ..

وأكثر الحواس التصاقًا بالطبيعة وما يجري فيها ، هي **(حاسة البصر)** فهي الرقيب الذي يحصي كل حركاتها وسكناتها ، وهي النافذة التي يطل منها على العالم بما فيه من مظاهر القبح والجمال ، وهي التي تنقل إليه هذه المظاهر بكل أبعادها نقلًا أمينًا ، خاليًا من كل قيمة جمالية ، ليقوم هو بعملية الفرز والتصنيف ، وإعطاء كل منها قيمتها وفق ما اختزن فيه من معايير ومقاييس مكتسبة وغير مكتسبة ، تتلاءم والحفاظ على بقاء الإنسان ووجوده ، فإذا فقد الإنسان هذه الحاسة ، فقد فقَد الناقل الأمين للموجودات، وفقد الدماغ أهم نبع يغذيه ، وتصبح معلوماته عما حوله مُهْتَزَّة غير واضحة ، فهو لا يراها ولا يعرف أبعادها، ولا يحقق صورها ، فهي لا تصل إليه عن طريق مباشر يؤثر فيه ، بل تصله عن طرق ملتوية ، وفي جهد ومشقة ، فيكون تأثيرها في نفسه مخالفًا لتأثيرها في نفوس غيره من الناس .. ولهذا فالأعمى لا يفتأ يقلبها على كل الوجوه دون أن تستقر على وضع معين ،

مما يولد الشك وسوء الظن لدى الأعمى في كل ما يرسمه من صور لهذه الموجودات من جهة ، وبكل من يحيطون به من جهة أخرى ، وهذه أول صفة يشترك فيها من فقدوا هذه الحاسة ، وقد عرفنا منهم في أدبنا العربي أبا العلاء الذي كان يشك في كل شيء ، فقد شك في الناس والديانات والمعتقدات والعادات والتقاليد ، وطه حسين الذي استهواه مذهب الشك الديكارتي .. وهذا الشك يؤدى به إلى تحدي من يحيطون به، وهذا التحدي إما أن يؤدي به إلى مجابهتهم ليثبت لهم أنه قادر على عمل ما يحب، وأنه ليس عاجزا كما يتوهمون وهذا ما فعله بشار، وإما باعتزالهم ليثبت لهم أنه لا حاجة له بهم ، كما فعل أبو العلاء وصقر الشبيب[١] .

وآفة العمى حرمانٌ يحسه من أصيب بها ، فهذا الظلام السرمدي الذي يحجز بينه وبين الطبيعة ، وما فيها من مظاهر مختلفة ، يجعله يفتش عن مُتَنَفَّسٍ لهذا الحرمان .

وعندما نتطلع إلي " صقر الشبيب " نراه شديد الإحساس بهذه العاهة وهو ابن التاسعة ، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزًا في شعره ، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل [٢] .

في قصيدة له بعنوان « **مِنْ أَعْمَى إلى عُمْيَان** » [٣] تخيل أن العميان يتساءلون وأنه يجيب عليهم ، فهل الأعمى بمحياه سرور ؟ وهل في العمى

---

(١) عقدة العمى في شعر بشار ، علاء الدين علي ناصر ، قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مجلة جامعة البعث ، مجلد(٣٦) ، العدد (٧)، ٢٠١٤م ، ص٢٠٣ .

(٢) الديوان ص٤٥.

(٣) السابق ص٣٤٧ وما بعدها .

سعادة وهناء ، فيجيبهم الشبيب بقوله : إن الأعمى كالأسير الذى لايملك من نفسه شيئًا ، وهل يشعر الأسير في أسره بالسعادة والسرور ؟ فيستنكر هذا الأمر فيجيبوه: أنّ العُمْيَ أكثرهم سمان من كثرة السعادة والسرور ، فالإنسان لا يكون سمينًا إلا عندما يشعر بالسعادة والأنس وراحة البال ، فأجابهم بأن العُمي السمان قد ماتت مشاعرهم ، فهم لا يحسون بما يعانيه الأعمى من العذاب والحرمان ، وموت مشاعرهم هذا حصن لهم ؛ لكي يشعروا بالسعادة ويخرجهم من ظلامهم ، فيصور فيها سخرية الناس والمجتمع من العميان وما يعانونه من محنة العمى والفقرِ والعَوَزِ وعدم استطاعتهم العيش كأقرانهم من الناس في هذا المجتمع وما يجور الزمن عليهم من البؤس والشقاء فيقول :

أَلْأَعْمَى بِمَحْيَاهُ سرُورُ ... وَهَلْ يَا صَقْرُ فِيهِ لَهُ حُبُورُ

فَقُلْتُ لهم عَمَى الْعُمْيَانِ أسرُ ... وَهَلْ فِي الْأَسْرِ يَبْتَهِجُ الْأَسِيرُ

فَقَالُوا الْعُمْيُ أَكْثَرُهُمْ سِمَانُ ... وَهَلْ سِمَنٌ بلا أُنسٍ يَصِيرُ

فَقُلْتُ لَهُمْ سِمَانُ الْعُمْيِ مَاتَتْ ... مَشَاعِرُهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ شُعُورُ

وَمَوْتُ مَشَاعِرِ الْعُمْيَانِ دَرْبٌ ... عَلَيْهِ لَهُمْ مَسَرَّتُهُمْ تَسِيرُ

كما نجد أن الشاعر حرص على الاعتناء بالعميان من أقرانه ودعا المجتمع من حولهم لقضاء حاجاتهم ومعونتهم نتيجة ما يعانونه من شظف العيش والفقر ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ذهب أبعد من ذلك إلى اقتران اسمه باسم الصقر الجارح في معظم تشبيهاته وصوره الحسية أو بين غيره من الحيوانات التي أصابها العمى كما أصابه وأقعدها عن الحركة

والسعي للوصول إلى مقومات معيشتها كما أقعدته .

كما نجده يكرر كلمة (**العمى**) أكثر من مرة في الأبيات السابقة تكراراً بنائياً مؤثراً؛ لأنها تشكل محور ارتكاز القصيدة، ومنبع ثقلها الفني " وغالباً ما يلجأ الشاعر العربي الحديث إلى هذا التكرار، ليحقق لقصيدته توازنها الفني، وتكاملها الإيحائي؛ فالشاعر آثر التكرار المتتابع للأسماء ليبعث في قصيدته إيقاعاً لافتاً موقظاً القارئ، ولتركيز دائرة انتباهه إلى الشيء المكرر، وما له من صلة تنعكس على رؤية القصيدة وتشكيلها الفني من قريب أو بعيد "[١] .

كما نلحظ اشتمال أسلوب الحوار في الأبيات السابقة على كثير من الأحداث التي تثير مشاعر القارئ وانفعالاته ، فإن الحوار من كونه تنافساً بين طرفين، فإن هذا التنافس من شأنه أن يثير انفعال السامعين ومشاعرهم ، خاصة بعد تفوق الشبيب في إجابتهم ، وبيانه لحقيقة العمى وتصويره القاتم القاسي الذي يدل على الحالة النفسية للشاعر، فجاء أسلوبه يحمل ألم النفس التي أثقلتها مرارة عدم القدرة على المساواة مع الآخرين .

ثم يَسْتَنْهِضُ هِمَمَ العُمْيَانِ قائلًا :

عليكم مَعْشَرَ العُمْيَانِ ألَّا ... يَمَسُّكُمُ عن الْعُلْيَا فُتُورْ

فَقَدْ يَبْنِي ضَرِيرُ القومِ مَجْدًا ... يَقْصُرُ أن يَفُوزَ بِهِ الْبَصِيرْ

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع الشاعر، وثقافته

([١]) مجلة رسائل الشعر ، مقال بعنوان / فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، بقلم عصام شرتح ، السنة الثالثة ، العدد التاسع ، ٢٠١٧م.

العميقة وفيها حَثٌّ على إدراك العلوم لما فيها من تمهيدِ السُّبُلِ إلى رُقِيِّ الأممِ وسعادةِ الأفرادِ .

وفي بعض قصائده يشير إلي انزعاجه من أصوات حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه ، كما أن العصا لا تفيده فى ذلك شيئًا .

من هنا يرى أحد الباحثين أن (عجز الكفيف عن الرؤية ينشأ عنه اختلاف في أنماط سلوكه ويجعله في مجال الإدراك أقل حظاً من المبصر، فيكون عالمه بسبب ذلك عالماً ضيقاً محدودا لنقص خبراته في العالم الذي يعيش فيه ، كما يجعله في مجال الحركة حذرًا ويقظًا حتى لا يصطدم بعقبات أو يقع على الأرض نتيجة تعثره بشيء ما أمامه) [١] ، يضاف إليه أن هذا العجز يقوى عنده عندما يسهم الجماعة في تثبيت هذا الشعور الذي يفرض عليه عالما محدودا؛ ولكنه يرغب في الخروج من عالمه الضيق للاندماج في عالم المبصرين الذي يخشاه ، فتكون النتيجة معاناة وقلقاً مستمرين فيحيا تحت تأثير هذا القلق حياة تفرض عليه أن يعيش في صراع بين عالم المبصرين وعالمه الخاص به المحدود ؛ فيلجأ نتيجة لذلك إلى أنواع من الحيل المساعدة في هروبه من هذا الواقع ، فإما أن يسلك سلوكا تعويضيا متحديا عجزه ، محاولًا الاندماج في عالم المبصرين بقدر ما يستطيع أو أن يلجأ إلى العزلة التي تشعره بالراحة [٢] ، **ومن ثم كانت**

---

(١) سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته ، سيد خير الله ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ،
١٩٦٧ م: ص٢٦.

(٢) المرجع السابق ص٣١ .

قضية العمى من أهم أسباب عزلة الشبيب وغربته النفسية ، ومن أهم القضايا التى كان لها الأثر الواضح في شعره ، كما كانت هذه الآفةُ سببًا في اكتسابه عزة النفس والترفع عن الدنايا ، وكان صريحًا في توجيه حديثه إلي الناس لا يخشى في الحق لومة لائم ، ونلمس ذلك في قوله [١] .

أخَافُ إذَا بَقِيتُ تـذِلُّ نَفْسِـي ... عَلَى طَمعٍ لِـذِي مَالٍ كَثِيـرِ

فَتَمْنَحـه مَدَائِحَهـا اللَّـوَاتِـي ... تَعـزُّ عَلَى الفرزدقِ أو جَرِيـرِ

وَلَكِنِّي -كَمَا سُمِّيتُ – صَقْـرًا ... وَهَلْ أبْصَـرْتَ ذُلًّا فِي الصُّقُورِ

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين ، كما نراه يتحدث عن عدم اقتناعه بما يسمع ، وحسبه اقتناعه بالمواقف التي يقفها ، فقد ضعفت مكانته لدى بعضهم عندما ظهر عليه الزهد تجاههم فيقول [٢] :

فَهَلْ ظَلَّ عُذْرُ الْمُبْتَلِينَ طِبَاعَهم ... إذَا أظْهَـرُوا زُهْـدًا بِعِشْـرَتِهِـم قَلَـصْ

كَرِهْتُ بَقَائِي فِي وِهَادِ خِلَاطِهِـمْ ... فَأَرْكَبَنِـي كُرْهَيْـهِ مِنْ عُزْلَتِـي مَنَصْ

فَلَسْتُ بِمُرْتَدٍ ـ كَمَا كُنْتُ نَاشِئًـا ... غَرِيرًا ـ عَلَى آثَارِ عِشْرَتِهِم قَصَصْ[٣]

ولعزة نفسه وترفعه عن الدنايا نراه يفضل العزلة والانفراد عن الاختلاط وملامة الناس ، فهو يشعر بالسعادة عندما يكون بعيدًا عن الناس ، وغيره

---

(١) المرجع السابق ص٤٦.

(٢) المرجع السابق ص٤٥٣ .

(٣) قلص: قَلَصَ الشيءُ تَدانى وَانْضَمَّ، وَفِي الصِّحَاحِ: ارْتَفَعَ. وقَلَصَ الظلُّ يَقْلِصُ عَنِّي قُلوصاً: انْقَبَضَ وَانْضَمَّ وانْزَوَى ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٧٩ .

يسعد بمخالطة الخلائق فيقول في قصيدته " العزلة "[١].

عَرَتْنِي وَحْشَةٌ مِنْ كُلِّ حُرٍّ ... وعَبْدٍ في البَرِيَّةِ فانْفَرَدْتُ

فخالِطْ مَن تَشَاءُ ولا تَلُمْنِي ... فإنِّي عَنَ مَلَامَتِكَ ابْتَعَدْتُ

فَإِن تَسْعَدْ بِمُجْتَمَعِ الْبَرَايَا ... فَإِنِي بِانْفِرَادِي قَدْ سَعِدْتُ

فاعتزل صقر الناس ورفض الخروج من داره ؛ حفاظًا على عزة نفسه ، لقد كان كما أطلق عليه خالد الفرج "مَعَرّي الكويت" فأصبح رهين المحبسين، لكن المُطَّلِع على حاله يجزم بأنه رهين محابس كثيرة .

فالوحدة والعزلة والانفراد يريح نفس الشاعر ، فنراه يتغني بوحدته وانفراده وبعده عن الخلق الذي لم ير منهم إلا الذل والهوان فيقول في قصيدته " **العزلة** "[٢]:

وَجَدْتُ الانفِرادَ يُرِيحُ نَفْسِي ... فَمِلْتُ بِجُمْلَتِي لِلِانْفِرَادِ

فَرَرْتُ مِنَ اجْتِمَاعَاتِ الْبَرَايَا ... وَبِي مِنْهُنَّ مَوْجَعَةُ الْفُؤَادِ

وَلَا تَنْقِمْ عَلَيَّ الْبُعْدَ عَنْهُمْ ... فَنَفْسِي اسْتَعْذَبَتْ ثَمَرَ الْبُعَادِ

وَخُذْ لَكَ غَيْرَ مِنْهَاجِي سَبِيلًا ... فَلَسْتُ لِعَاذِلٍ طَوْعَ الْقِيَادِ

وفي هذه الأبيات لجأ الشاعر إلى أسلوب الحوار الداخلي من خلال ما يديره من حوار ذاتي نشأ عن صراع حول قضية العزلة والبعد عن الناس

---

(١) الديوان ص٢٣٤ .

(٢) الديوان ص٢٩٩ .

وتقديمه النصيحة لغيره بعدم اتباع نهجه في العزلة ،فلم يفعل ذلك إلا بعد إحساسه بالألم والحسرة والوجع والمعاناه والعجز .

فنراه يُرْجِعُ سبب عزلته وانفراده عن الناس إلى كونهم السبب في جلب الحزن والهم لنفسه البائسة الحزينة المحرومة من ملذَّات الحياة ، فلولا وجود الناس في حياته لما ملأ الهم قلبه فيقول في العُزلة [١]:

قالوا اعْتَزَلْتَ الناسَ، قلتُ: لأنهم جَـرُّوا عَلَيَّ المُحْزِناتِ صُنُـوفَا

لَولا مُخالَطَتِي الْبَـرِيَّةَ لَمْ يَكُـنْ قَلْبـي لِذُؤْبانِ الهُمُـومِ خَرُوفَـا

فالألفاظ في هذه الأبيات توحي للقارئ بالخوف والحزن والألم والهم الذي يشعر به الشاعر، ونلحظ ذلك في الكلمات (اعتزلت ، جروا ، المحزنات ، الهموم)، وهذه الألفاظ ينطلق بها النفس بعدما استغرق وقتًا كافيًا فَي أعماق ذاته يجسد له ألم هذه الذات وحنينها إلى الانطلاق والانتشار خارج مداها المغلق ، فبقاء هذا النفس في أعماقها أصبح يشعرها بالضيق والاختناق .

وفي تعبير الشبيب عن عزة نفسه وشكواه من عاهته يقول إنه لم يستطع أن يذهب للسوق بمفرده ، فالأعمي ليس لمثله مكانٌ في الزحام يضايقه فيشعر بالاختناق الشديد منه ، والناس لا ترحم الضرير ولم تقدم له يد العون والمساعدة بل ربما يلحقون به الأذى النفسي فيقول في قصيدته" **زحام** "[٢]:

---

(١) الديوان ص٥٦١ .

(٢) الديوان ص ٢٥٧.

ما في الصّفاةِ لِذِي عَمى ... مِثْلِي أُمورٌ تُحْمَدُ[1]

كَم مَرَّةٍ قد ضَمَّني ... فِيها زِحامٌ أنْكَدُ

كادَتْ بِهِ عنْ جُثَّتِي ... نَفْسِي الْعَزِيزَةُ تُفقَدُ

وفي قصيدته " **الحر من يأبى الهوان** "[2] ، يوضح عزة النفس التي يتمتع بها ، فالحياة عنده إذا خلت من عزة النفس كانت داءً وبيلًا ، والموت هو الدواء الوحيد من هذا الهوان فيقول :

حَتَّى الحياة إذا خَلَتْ مِنْ عِزَّةٍ ... دَاءٌ لِمِثْلِكَ وَالْحِمَامُ دَوَاءُ

مَا الحُرُّ إلَّا مَنْ تَأَبتْ نَفْسُهُ ... سَوْمَ الْهَوَانِ فَهَلْ لَدَيْكَ إبَاءُ

ففي رأيه أن الحر هو الذي يتمتع بعزة النفس ، ولا يقبل الذل أو الهوان على نفسه ، فإذا تخلى الإنسان عن عزة نفسه فهو كمن تنازل عن حريته فأصبح عبدًا .

كما نظم قصيدة لمن لام عليه عزلته وانفراده ، يجيبهم فيها عن الفرق بين أن يعيش في عزلته وبين اختلاطه بالناس ، فالعزلة تجلب له السعادة وراحة البال ، أما الاختلاط فإنه يجلب له الهم والحزن وعدم الراحة فيقول في

---

(١) الصفاة : سوق يقع في قلب الوسط التجاري والمالي لمدينة الكويت مَعْلَماً هاماً من معالم الكويت ، أُنْشِيءَ السوق في عام ١٩٧٩ كأحد المراكز التجارية المهمة ، الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٢) الديوان ص٨٥ .

قصيدته " إلى لوّامي في العزلة "[١]:

وَكَمْ يَوْمٍ سُرِرْتُ بِهِ وَحِيدًا	وَمَا سرَّتْ مُخَالَطَةُ فُؤَادِي
فَعَنْ لَوْمِي إِلَى عُذْرِي وَإِنْ لَمْ	تَرَوْا لِي فِي انْفِرَادِي مِنْ سَدَادِ
فَمَا يُجْدِي الْمَقَامُ وَقَدْ تَنَافَى	تَمَامًا مَعْ مرَادِكُمُ مرادي
إِذَا بِي عُزْلَتِي أَفْضَتْ لِغَيٍّ	فَإِنّ الْغيَّ مِنْهَاجُ الرَّشَادِ

ولعلنا نلحظ المفارقة التي صورها الشاعر بين حبه الانفراد والبعد عن الناس، وبين الضرر الذي يعود عليه من مخالطة الناس .

والشاعر هنا يضع أمامنا تلك المعادلة الضدية ، فهو يفضل الوحدة والعزلة وعدم الاختلاط بالناس لاعتبارات نابعة من ظروفه ومن ذاته ، لأن اختلاطه مع الناس يؤدي به إلي الضيق والضجر ، لذلك نجده يركز علي الدفاع عن وجهة نظره والايجابيات التي يحصل عليها من وحدته التي يعيشها ، ويجيب لوّامه بأن اللوم لا ينفع معه ، فمراده مختلف عن مرادهم ، وإذا كانت عزلته تفضي به إلى الغي ، فالغي عنده هو منهج الرشاد والأمان لأنه يجد سعادته في عزلته وغربته ، وإذا كانت الوحدة مرفوضة نفسيًا لكنها بمثابة دعم لقضية العَمَى عند صقر الشبيب ، فوحدته تحميه من أذى الناس ، وعدم الشعور بعاهته .

وطالما أن التمايز بين الوحدة والاختلاط من وجهة نظر الشاعر خاضع للنتائج المترتبة علي كليهما ، لذلك تختفي الفوارق والنقص التي يراها

---

(١) الديوان ص٢٩٧ .

الآخرون، وقد يوافق على رأيه كثيرون ، ألم يقل : " والناس فيما يعشقون مذاهب " ، فأحدنا يعشق الوحده والآخر يعشق الاختلاط والتعامل مع الناس، وكلاهما مقبول .

ولعلنا نلحظ في الأمثلة السابقة شيوع روح التشاؤم والحزن ، والنزعة القاسية التى سيطرت على نفسية الشاعر فجعلنا . من خلال صدق عاطفته الأليمة وألفاظه الحزينه ، وموسيقاه القاتمة . نتقاسم معه مشاعره وحرقته ، ونعيش معه قضيته ، مما يدل على براعته الفنية وصدق تجربته الشعورية .

**** شكواه من العمى :**

لا شك أنّ مصيبة الحرمان من البصر مصيبة عظيمة؛ لأن الكفيف يشعر بنقص شديد كلما عرضت له حاجة، فيصبح الحزن ملازما له طوال حياته ، وينعكس ذلك الحزن شكرًا وثناءً على الناس ، فهو يعيش بين صنفين من الناس : منهم من يشفق عليه ، فيشعر بغصة الحرمان والعجز ، ومنهم من يستهزئ ببلائه الذى ابتلي به، وهى أشد وقعًا على النفس وألمًا[١].

ويرسم الشاعر ما يشعر به من غصة الحرمان ، وألم النقص والحاجة إلى الناس ، والحالة القاسية التي يعيشها في الحياة بسبب هذه الآفه في قصيدة بعث بها إلي الشيخ عبدالله السالم ، يعتذر فيها لانقطاعه عن زيارته، في مشهد متحرك يحرك معه مشاعرنا ويجعلنا نتعاطف مع هذا الفقد الذي يشعر به الشاعر ، فيشبه نفسه بالسفينه التي تسير في البحر ، تتلاطمها الأمواج من كل ناحية ، فاقدة دفتها بسبب الأمواج دون دراية من أصحابها

---

(١) الديوان ص٣٥٥ .

بكيفية إصلاحها ، فيقاوموا الأمواج دون فائدة فيقول [١] .

لَئِنْ لَمْ أَزُرْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلَّ مَنْ ... عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ

كَفَضْلِ أَبِيهِ الحُرِّ سالِمٍ الذِي ... أَبَى حُبُّهُ إِلَّا التَّمَكُّنَ فِي صَدْرِي

فَأَمْضِي بِلَا رُشْدٍ كَأَنِّي سَفِينَةٌ ... بِمُلْتَطِمِ الْأَمْوَاجِ مِنْ لُجَجٍ خُضْرِ

وَقَدْ كَسَرَتْ مِنْهَا يَدُ الْمَوْجِ دَفَّةً ... وَمَا لِذَوِيهَا بِالنِّجَارَةِ مِن خُبرِ

فَظَلَّتْ بِهِمْ تَجْرِي إِلَى غَيْرِ وِجْهَةٍ ... بَغَيْرِ الذي يَنْوُونَ مِنْ جِهَةِ العُبْرِ[٢]

تَمِيلُ بِهَا لِلْقَصْدِ طَوْرًا وَتَارَةً ... تَمِيلُ بِهَا عَنْهُ يَدُ الرِّيحِ بِالْقَسرِ

فَأَمْشِي بِأَثْنَاءِ الشَّوَارِعِ تَائِهًا ... كَمَكْسُورَةِ السُّكَّانِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ

لِهَاتِيكُمُ الْأَسْبَابِ قَلَتْ زِيَارَتِي ... وَإِنْ كُنْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ عَلَى جَمْرِ

انظر إليه كيف أحسن التشبيه كل الإحسان، وأجاده أتم الإجادة ، وهو الأعمى الذي لا يبصر ، وإنما وُفِّق إلى ذلك حين دلنا علي حيرته واضطرابه وعجزه وقلة حيلته بسبب آفته ، فهو كالسفينة التي كسرها الموج ولم يعرف أصحابها كيفية إصلاحها ، فأصبحت تتلاطم يمينًا ويسارًا دون جدوى إلى جانب العجز وقلة الحيلة من أصحابها .

ونجد في الأبيات السابقة براعة التصوير ودقته حينما جعل فضل

---

(١) الديوان ص٣٥٥ وما بعدها .

(٢) **العِبْرِ**، وَهُوَ جانبُ النَّهْرِ وعِبْرُ الْوَادِي وعَبْرُه؛ شَاطِئُهُ وَنَاحِيَتُهُ؛ لسان العرب أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، ج٤ ، ص٥٢٩ .

الشيخ عبدالله السالم كفضل أبيه الذي تمكن حبه من قلب الشاعر ، وتصويره نفسه بالسفينة التي تتلاطم يمينا ويسارا لكي تصل إلى مبتغاها ، لكنها لم تستطع الوصول، وهو مثلها يسير في الشوارع تائهًا لا يستطيع الوصول إلى ما يريد ، وهذه صورة قاتمة حزينة تدل دلالة واضحة على نزعة الحزن والشعور باليأس والعجز التى سيطرت على نفسية الشاعر .

وأمضى صقر الشبيب حياته شاكيًا متذمرًا لما مرّ به من مآسٍ منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر ، **فكان كثير الحديث في شعره عن فقده لبصره والشكوى مما يتحمله من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره** ، فيؤكد في هذه القصيدة للشيخ سالم أن عماه هو الذي منعه من الزيارة ، وأنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده ، ثم يوضح العاهات التى ألمت به عند خروجه وحيدًا بأنه يتخبط يمينًا ويسارًا بين جدران الكويت حتي يعود جريحًا فيقول [١] :

وَلَوْ أَنَّنِي أَسْطِيعُ وَحْدِي ازْدِيَارَهُ لَكُنْتُ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مُتَّصِلَ السَّيْرِ

وَلَكِنَّنِي مَا سِرْتُ وَحْدِيَ مرَّةً فَعُدْتُ وَلَمْ تُجْرَحْ جَبِينِي يَدُ الجُدْر

كَأَنَّ لِجُدْرَانِ الْكُوَيْتِ جَمِيعِهَا عليّ تِرَاتٌ غَيْرُ مَنْسِيَّةِ الذِّكْرِ

فَهُنَّ مَتَى أَبْصَرْنَنِي دُونَ قَائِدٍ رَدَدْتُ نَظِيمَ الصَّبْرِ مِنِّي إِلَى نَثْرِ

أَظُنُّ كَأَنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاتِرًا وَهُنَّ بِصَفْعِي اليومَ يَأْخُذْنَ بِالْوِتْرِ

وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة علي العجز الذي يعاني منه الشاعر

([١]) الديوان ص٣٥٥ وما بعدها .

بسبب هذه العاهة، ويشكو من العثرات التى تواجهه ، والتي كان لها الأثر الواضح على نفسيته؛ مما جعله يشعر دائمًا بالاغتراب النفسي الذي أدَّى إلى عزلته من ناحية ، وكثرة شكواه من ناحية أخرى ؛ فنتج عنه هذه الصورة القاتمة الحزينة فتصوير الشاعر لسيره وتلاطمه بين الجدران بالشخص الذي ينتقم منه الأعداء ليأخذوا بالتار منه وكأنه ظلمهم ظلمًا بيّنًا.

فقد قرن عماهُ الذي كان يعاني منهُ بعمى أبي العلاء المعري الذي يُعد شاعره المفضل ومثله الأعلى في هذا المجال بل حتى في حياته اليومية مع أصدقائه في المجتمع كان يتحرج من زيارتهم بسبب محنة العمى وتأثيرها عليه وصعوبة تنقله، فهو في قصيدة يعتذر فيها للشيخ عبد الله السالم الصباح حين عاتبه لانقطاع زيارته ، مبيناً أهم العوارض التي قد تمنعه من المجيء إليه وزيارته التي منها الجدران وتخبُّطه فيها أثناء مشيه إذ يقول ([1]):

وأعْرَفُ فَضْلَ الْحِلْمِ لَكِنْ مَتَى يُسِئْ ... إليَّ مُسِيءُ أنْسَ مِثْلَ الْوَرَى غَيْرِي
وَهَلْ يَغْضَبُ الإنسانُ لو عَاشَ ذاكِرًا ... جَمَالَ مَزَايَا حِلْمِهِ الْجَمَّةِ الزُّهْرِ
فَآوِي إِلَى بَيْتِي وَثَوْبِيَ لا تَرَى ... بِهِ وبِجِسْمِيَ مَوْضِعًا غيرَ مُغْبَرِ
فَيَتْرُكُنِي ذَاكَ الفَتَى بَعْدَ قَوْلِهِ ... أرَى لك أن تَبْقَى مِنَ الْبَيْتِ فِي الْعُفْرِ
فَمَا لِحَرِيرٍ فِي فِرَاقِ مَكَانِهِ ... مِنَ الرِّبحِ إِلَّا مَا يَقِلُّ عنِ الْخُسْرِ

فَلَسْتُ أرَى رِبْحًا وَإِنْ جَلَّ وَافِيًا ... تَرَكْتُ فِي وَجْهِكَ الْجُدْرُ مِنْ حَفْرِ
وَمَا رَقَّتِ الْجُدْرَانُ يَوْمًا لِحَالَتِي ... وَهَلْ رِقَّةٌ لِلطِّينِ تُرْجَى أوِ الصَّخْرِ

ففي هذه الأبيات يصور مأساته أبلغ تصوير في إشفاق قائده عليه مما أصابه من جروح بليغة في ساقيه وينصحه بأن يركن إلى داره وعدم

([1]) السابق ص٣٥٦، ٣٥٧ .

الخروج لما يلاقيه من تعب ومشقة، وكان لهذا أعمق الأثر علي نفسيته وشخصيته ، فلزم بيته، لأن الضرير لا يجوز له ترك بيته إلا لضرورة .

يقول الذبياني : [١] « إن كف البصر يؤثر على شخصية العديد من الشعراء ونفسيتهم ، وكثير من الشعراء المكفوفين لم يتمكنوا من التغلب على كف بصرهم فحسب، ولكنهم تمكنوا من تجاوز معاصريهم المبصرين، مثل بشار بن برد، والمعري، وطه حسين » .

والشبيب مثال للشعراء المكفوفين الذين تفوقوا على الآخرين المبصرين في خلق صور رائعة ، ولهذه الآفة الأثر الواضح على نفسيته ، وذلك واضح من خلال شعره .

والإعاقة ليست إلا حجر عثرة في طريق الإنسان يستطيع بإرادته أن يتفوق عليها ، ومع قدرته على التأقلم مع هذه المصيبة إلا أننا لابد أن نُقرّ بحقيقة أن للإعاقة آثارًا على نفسية المعاق بل وشخصيته ، سواء أكانت ظاهرة جلية ، أم خفية تحتاج إلى تأمل وتدقيق [٢].

ولو وقفنا مع إعاقة (**كف البصر**) لنرصد مدى تأثيرها النفسي على المعاق سنجد أن " كف البصر يفسح المجال . أحيانًا . لظهور سمات شخصية غير سوية في شخصية الكفيف ، هذه السمات توثر سلبًا على تعاطي المعاق مع ما يواجهه من أمور حياتية ، ومع التأقلم المعيشي داخل مجتمعه فالرجل الصحيح الجسد ربما لا يحتاج في إظهار شخصيته والتأثير

---

(١) السخرية فى شعر عبدالله البردوني ، رسالة ماجستير ، إعداد الباحث / مساعد بن سعد بن ضحيان الذبياني ، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القري ، ص٥٠ بتصرف ..

(٢) السخرية في شعر عبدالله البردوني ، ص٥١ .

في غيره إلى ما يحتاج إليه المشوه الخلقة أو المنقوص الجوارح، فبينما نجد الرجل الصحيح طبيعيا في معاملته، لأنه لا يشعر بنقص خارجي يريد أن يكمله، إذ نجد " صقر الشبيب" يختلف عن أقرانه العميان، فنراه محبًا للتميز ، يسعي دائمًا للحصول عليه، ويكمل ذلك النقص بتعويضه عن طريق تفوقه العلمي، ويحث أقرانه للحصول على أعلى درجات العلم، ويلوم أقرانه العميان بسبب تخلفهم عن العلم، وأن هذا التخلف يمزقه حزنًا، وبخاصة وهو يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء فيقول [١] :

يُمَـزِّقُنـي انحطاطُ العُمْـيِ حُزْنًا ... وكلُّهُـمُ علـى العَلْيَا قـديـرُ

فإنْ تُعْـوِزْ أكُفَّهُـمُ رِمَـاحٌ ... يُشَوِّقْ شجاعَهـم منها صَـرِيـرُ

وتَصْفَرْ من مـدافع في دفـاعٍ ... يَهُـزُّ كريمَهُـم مِنْهـا هـديـرُ

فَفِي دَرْسِ الْعُلُـومِ لَهُمْ رُقِـي ... تَمَنَّى مِثْلـه الشِّعْرَى العَبـورُ

ثم نراه يستحضر الماضي ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية من الآداب مثل هوميروس ، وطه حسين فيقول : [٢]

« لهوميروس » فـي اليونـانِ فَضْلٌ ... يُفاخِـرُ مِنْهُـمُ فِيهِ الْفَخُورُ

و« طـه » قد بَنَى مَجْـدًا رَفِيعًـا ... لَهُ بَيْنَ الـوَرَى شَـأنٌ خَطِيرُ

وَفِي هَذَيْنِ أُسوَةُ كُلِّ أعْمـى ... لَبِيـبٍ قَلْبُـهُ قَلْـبٌ كَبِيـرُ

---

(١) الديوان ص٣٤٩.

(٢) السابق نفس الصفحة وما بعدها .

فنلحظ أنه عندما تحدث عن العلماء وتفوقهم أتى بصور مشرقة وألفاظ تدل على مدى ارتباط الشاعر بالعلم فخره بالعلماء مثل (الفضل ، يفاخر ، والفخور ، ومجدا رفيعا ، شأن خطير .....) وهذه الألفاظ تدل دلالة واضحة على تمسك الشاعر بالعلم والاجتهاد في طلبه ؛ لذا أتى بعالم من القدماء " هوميروس ، وآخر من المحدثين " طه حسين " ليوضح أن العلم ممتد في جميع العصور والأزمان .

ثم يصور العمى بالقبر الذى يدفن فيه صاحبه ، ولا يخرج من قبره هذا ويعود إلي الحياة إلا بالعلم النافع الشريف الذي تحفه المحامد والأجور ، فيحث أقرانه على طلب العلم وألا يرضوا بجهلهم ؛ لأنه يؤدي بهم إلي القبر فيقول [١] :

عَمَى العُميانِ مَقْبرَةٌ وَلكِنْ لَهمْ مِنْها بِعِلْمِهِمُ نُشورُ

فَبِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ لَكُمْ حَيَاةٌ تَحُفُّ بِهَا الْمَحَامِدُ وَالْأُجُورُ

ولا تَرْضَوْا جهالَتَكمْ فَإِني رَأيتُ الْجَهلَ كَلْبَتُهُ عَقورُ

فالجهل عنده هو المرض الذي يصيب الشعر والشعراء ، والعلم هو الذي يشفيهم من هذا الداء ، فالعلم عنده هو الذي يجلب الخير ، والشخص البصير الجاهل مثل الأعمى الذي لا يرى إلا الظلام في ليله ونهاره فيقول[٢]:

---

(١) السابق ص٣٥٠ .

(٢) الديوان ص٨٩ .

الجهـلُ داءُ الشِّعرِ عِنْدِي وَحْدَهُ وَالْعِلْـمُ فِي رَأْيِـي أَجَلُّ دَوَائِهِ

فَالشَّعـبُ مِنْ مَالٍ وَعَقْلٍ لَمْ يَكُنْ خَلْـوًا وَلَا مِن حَزْمِـهِ وَذَكَائِهِ

لَكِنْ مِنَ الْعِلْـمِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ فِـي سُبْـلِ مَحْيَاهُ إِلَى عَلْيَائِـهِ

وَإِذَا الْبَصِيرُ عَدَاهُ نُورٌ فِي الدُّجَى حَاكَى الْبَصِيرُ الْعُمْيَ فِي ظَلْمَائِهِ

فَأَهِـبْ بِشَعْبِـكَ لِلْعُلُـومِ فَإِنَّهُ يَحْظَـى عَلَـى مَا أَرْتَئِي بِشِفَائِـهِ

فنراه يكرر لفظة " العلم " أكثر من مرة ؛ لأنها موضع اهتمامه وهي التي استولت علي عقله وفكره ، كما يضفي عنصرًا إيقاعيًا في هذه الأبيات من خلال الطباق بين " العلم والجهل " الذي يجذب انتباه القارئ ويبعث في نفسه المتعة .

وظل الشبيب يحث على العلم وخاصة للأعمى الذي فقد بصره ، وكأن العلم يمده بالنور الذي فقده ، ويشفيه من جميع علله ، ويداوي الجروح العميقة التي ألمت به وأثرت علي نفسيته جراء فقده لبصره فجعلته يعيش الاغتراب النفسي بكل معانية .

ونلحظ أنّ " الشعور بالعجز من أكثر المواقف العظيمة عند الكفيف ، إذ نراه صابراً متكلفًا فلا يلقى من رأفة الناس به ، ورحمتهم له وعطفهم عليه إلا ما يقوي الألم في صدره ، مضاعفاً الحزن في قلبه ، فاستهانتهم وازدراؤُهم له، يشعر بالذل

والضعة ، منبهًا إياه بالعجز والضعف[١] " ، فيشتكي من عماه ، فهو

---

(١) التجديد في ذكرى أبي العلاء المعري د/ طه حسين ،ط ٦،دار المعارف، ص١١٣ .

العائق الوحيد بالنسبة للشاعر ، ويؤكد ذلك من خلال الاستفهام الذي يحمل بين طياته الحسرة والألم والعجز من جراء هذه العاهة فيقول [١] :

أرِنِي طَرِيقًا لِلتَّخَلُّصِ مُفْضِيًا ... مِنْ حَالَةٍ فِي مَوْطِنِي نَكْرَاءِ

مَاذَا تَرَى غَيْرَ الرحيلِ فَقَدْ أَبَى ... هـذَا عَلَيَّ ثَقِيلُ قَيْدِ عَمَائِي

فالشعور بفقدان تقدير الذات وعدم التوافق مع الناس تؤدي عند الكفيف إلى الهروب إذ (يتصور نفسه شخصية عاجزة تعيش في جماعة أقلية تختلف كثيراً عن جماعات المبصرين ، وفقدانه لحاسة البصر يعينه على تكوين صورة واقعية عن الذات ، مما يترتب عليه ضعف الثقة بالنف ، والشعور بالدونية مما يدفعه إلى الهروب والتقوقع في عالمه الخاص به) [٢].

ولإيصال شكواه إلى الشيخ سالم الصباح صور ذلك في قصيدة يصف فيها امرأة تبيع البيض حيث تَكَسَّرّ عندما سقطت في أحد الشوارع بسبب إراقة المياه فيها ، يقول واصفًا ذلك [٣] .

وَمَحْزُونَةٍ فِي الدَّرْبِ تَبْكِي وَتَلْطُمُ ... وَتُعولُ عَنْ عِظْمِ المُصَابِ وتُرزِمُ

فَأَخْرَجْتُ مِنْ جَيْبِي دَرَاهِم خَمْسَةً ... وَلَمْ يَكُ عِنْدِي غَيْرَ هَاتِيكَ دِرْهَمُ

فَنَاوَلْتُهَا مَا يَسَّرَ اللهُ قَائِلاً ... خُذِي وَاعْذُرِي إِنِّي لَمِثْلُكِ مُعْدَمُ

---

(١) الديوان ص٨٧ .

(٢) سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة _ الخصائص والسمات _ عبد الرحمن سليمان ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ط١ ، ٢٠٠١ م ، ص ٧٤ .

(٣) الديوان ، ص١٨ .

دَعَتْ لِيَ إِذْ نَاوَلْتُها ثـمَّ أنْشـأتْ تَسُبُّ الَّذِي أَلْقَى الْمِيَاهَ وَتَشْتُمُ

فَقُلْتُ أَظُنُّ الشَّيْخَ لَوْ كَانَ عَالِمًـا بِمَا مِنْهُ نَشْقَى فِي الطَّرِيقِ وَنَسْأَمُ

لَشَدَّدَ فِي نَهْيِ الرَّعَايَا عَنِ الْأَذَى وَهَدَّدَهُـمْ حَتـى يَكُفّوا ويُحْجِمُـوا

ولعلنا نلحظ قسوة الألفاظ التي تحمل معني اللوم إلى المسئولين من مثل (محزونة ، تبكي ، وتلطم ، المصاب ، وترزم ، تسب ....) وهذه العبارات تدل على شدة الحاجة التي دفعت هذه المرأة أن تخرج لتبيع البيض حتى تتقوى على المعيشة ، كما أن إراقة الماء تُعَد عائقًا في الطريق وخاصة للكفيف ؛ فصور ذلك الشاعر تصويرًا دقيقًا يَنُمُّ عن إحساسه المرهف وشعوره الرقيق ، وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع ، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

** أثر العمى في التصوير الفنيّ عند صقر الشبيب :

تستعمل كلمة التصوير للدلالة علي كل ما له صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات [١]،وهي وسيلة الشاعر والأديب في نقل فكرته وعاطفته معًا إلي قرائه وسامعيه [٢] .

إنّ الحواس جميعاً تساعد على تشكيل الصورة، وذلك بعد أن تنتقل التجربة خلال إحداها أو معظمها لتستقرّ في الذهن، أي " إنّ هذه الحواس كلها أو بعضها تدرك عناصر التجربة الخارجية فينقلها الذهن إلى الشعر ثم يعيد إحياءها أو استرجاعها بعد غياب المنبه الحسيّ بطريقة من شأنها أن تثير في صدق وحيوية الإحساس الأصيل [٣] :"

ولعلّ حاسة البصر لها الأثر الأول في إمدادنا بالصور، إذ تنقل القدر الأكبر من حصيلة معلومات الحواس المستقبلية، وهي قادرة على التقاط الصور والإحاطة بالكم والكيف والشكل، والعين هي الأداة التي يتم بواساطتها ما ذكرنا.

وهنا نتساءل كيف لمشاعر الأعمى رسم صوره الشعرية مع أنه لم يشاهد عناصرها ؟

وكيف أنه يصور لنا عالماً لم يبصره وقد تعطلت عينه أي عدسته المصورة؟ هنا يلجأ الأعمى إلى تطوير انتفاعه بالحواس الباقية الأخرى،

---

(١) الصورة الأدبية ، مصطفي ناصف ، ص٣.

(٢) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص٢٤٢.

(٣) أثر العمى في شعر بشار بن برد ، علاء الدين علي ناصر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،مجلة جامعة البعث٢٠١٤ المجلد (٣٦) – العدد (٧) ص٢٠٢ .

ولعلّ حاسة السمع تأتي في المرتبة الأولى بعد البصر، ومن ثم تليها بقية الحواس(الشم واللمس والذوق.)

ومن صوره الحسية عندما يصور المظاهر الخادعة للناس من حوله ، كسراب الماء في العين الذي لا يغني أحدًا فيقول [١] :

خَدَعَتْنا مِنْهُ الظَّوَاهِرُ حَتَّى نَالَ مَا نَالَهُ بِلَا اسْتِحْقَاقِ

سَرَابُ الْفَلَاةِ قَدْ غَرَّ مِنْ قَبْـ ـلُ عِطَاشًا بِالْمَنْظَرِ الْبَرَّاقِ

وهذه الصورة الحسية التى رسمها الشبيب مُسْتَمَدَّةٌ من كتاب الله عز وجل في قوله تعالي [٢] : { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا** } .

كما نراه يرسم لوحة حسية بارعة ، لم يسبقه إليها إلا " بشار بن برد " الذي أحب وهو أعمى فعذل في حبه فبرر ذلك بأن أذنه هي العين التى تعشق الجمال وتحبه فيقول [٣] .

لَا تَقُلْ أنَّـى لأعمـي صَبـوَةٌ أُذُنـي عَيْنِي وَهَلْ ثـمَّ الْتِبـاسُ

وهذه هي الصورة نفسها التي رسمها بشار في قوله [٤] .

---

(١) الديوان ص٤٨٣ .

(٢) سورة النور آيه رقم (٣٩).

(٣) الديوان ص٤١٨ .

(٤) ديوان بشار بن برد ، أشعر المولدين علي الإطلاق ، إعداد/ محمد عبدالرحيم ، ط١ لبنان دار الراتب الجامعية ، ص٤٢٩ .

ياقومِ أذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحْيـانَا

فالأذن هي النافذه التى يطل منها بشار والشبيب علي العالم بعد غياب بصرهما، وعلي الرغم من تفوق بشار في رسم صورته وأسبقيته في رسمها ، إلا أنها تدل علي براعة صقر الشبيب الفنية ، كما أنها تدل علي تمكن العمى منه وأثره علي نفسيته وشخصيته فحلّ الأذن محل العين لتعويض عاهته .

« فحاسة السمع هي الحاسة الأولى التي أحلها العميان محل البصر ، فضلًا علي قدرتها في الإدراك الجمالي أكثر من الحواس الأخرى ؛ لازدواجية الوظيفة التى تقوم بها ، إذ يقرر علماء وظائف الأعضاء أن الحاسة البصرية باب الإدراك، وأوتار السمع مزدوجه الوظيفة ، فكلما تنقل تفرز ما بين المسموعات من الفروق الجمالية الدقيقة ، وتستطيع بهذا الفرز أن تكون سببًا فى تكوين العاطفة ، وهكذا يركز الشاعر الأعمى على الصوت تركيزًا كبيرًا فالألم الذي يعبر عنه بالصوت يؤثر فينا على وجه العموم تأثيرًا روحيًا أبلغ من تأثير الألم الذي يعبر عنه بقسمات الوجه وحتى بالحركات ، والشعر نفسه ليس في حقيقة أمره إلا جملة من الكلمات المختارة يقصد بها الشاعر التأثير على النفس والوجدان » [١] .

فنرى الشبيب يستخدم حاسة السمع في موضع آخر ، حين يتحدث عن الدنيا الزائلة فيقول إن الخصام فيها يكون سفاهًا فنسمع أصوات الناس فيها

---

(١) شعر العميان ،الواقع ،الخيال ،المعاني والصور الفنية (حتي القرن الثاني عشر الميلادي) د/ نادر مصاروه ، دار الكتب العلمية ١٨٧١م ، بيروت لبنان ، ص٢٢٧ .

وكأنهم ذئاب تعوي ، فهنا استعاض عن العين بحاسة أخرى وهي السمع فيقول [١] .

يَجِدُّ خِصَامُهُمْ فِيهَا سِفَاهًا وَتَسْمَعُ كَالذِّئَابِ لَهُمْ عُوَاءَ

" لقد حرص الشاعر الكفيف علي بناء الصورة السمعية ؛ ليعوض عن الصورة البصرية الأصل ، فيبرز جمال الأصوات ، وقيمة المسموعات ، بعد أن سعى لبناء تأسيس نظرى حاول فيه إقناعَنَا بمساواة السمع بالبصر"[٢] .

ومن استخدامه حاسة السمع قوله [٣]:

وَطَالَ مِنَ الْقُسَاةِ لِمَا جَنَوْهُ عَلَي الْحَيَوَانِ مِنْ قَبْلُ النَّحِيبُ

وَلَمْ نَسْمَعْ خُوَارًا أَوْ ثُغَاءً يُرَدِّدُهُ كَمَا تَقْضِي الْكُرُوبُ

ومثله قوله [٤] .

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّهُمْ لَنَا أَصْدِقَاءُ مُخْلِصُونَ بِلَا رَيْبِ

بِمَا أَسْمَعُونَا مِنْ كَلَامٍ مَوَدَّةٍ تُكَذِّبُهُ الْأَفْعَالُ فِي الْوَهْدِ وَالْهَضْبِ

---

(١) الديوان ص٤١٨ .

(٢) شعر العميان ، الواقع ، الخيال ، المعاني والصور الفنية ، ص٢٢٧.

(٣) الديوان ص١٣٧ .

(٤) الديوان ص١٥٣ .

وقوله [١] .

لَأَسْمَعُ مُقْبِلًا أَهْلًا وَسَهلًا مِنَ النَّائِي وَذِي النَّسَبِ الْقَرَابِ

وَتَفْقِدُ مُدْبِرًا أُذُنَايَ مِنْهُمْ سَمَاعَهُمَا مَقَالَ : إِلَى الذِّهَابِ

من هنا ندرك أن الأعمى نتيجة لقوة الوسيلة السمعية لديه يدرك " أن الخطاب اللغوي يحمل معه زيادة معلومات ثمينه يبلغها إلى السامع الذي يستطيع أن يعرف من جرس صوته كل ما يتعلق به حتي حالته النفسية ، فالسمع عماد الأعمي ، فهو إذ لا يستطيع أن يراقب تصرفات الناس وانفعالاتهم بعينه ، يعتمد إلى حد كبير جدًا علي أصوات الناس واختلافها نوعًا وحدّة ، فبحاسة السمع يستطيع الأعمى أن يزن شخصية الشخص الذي أمامه وكيف يميز لهجة الصوت بين فرد وآخر بدقة تجعله لا يكاد يخطئ اسم صاحبه "[٢] .

وفقد البصر لا يستلزم بالضرورة التخلف أو فقدان المقدرة على كسب المعرفة وملكة التخيل والإبداع ، إلا أن لذلك عند الأعمى وسائله الخاصة وسبله المختلفة عن المبصر ، ونتاجها الفني المباين في طبيعته وأشكاله [٣].

ومن الصورة الحسية التي استخدم فيها حاسة اللمس بدلًا من البصر

---

(١) الديوان ص١٨٣ .

(٢) شعر العميان الواقع ، والخيال ، والصور الفنية ، ص ٢٢٨ بتصرف .

(٣) الصورة البصرية في شعر العميان ، د/ عبدالله المغامري الفيفي ، دراسة نقدية في الخيال والإبداع ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ،ط١ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م ، ص٣٤٢.

عندما تحدث عن القوافي في قصيدة له بعنوان " **صن قوافي القريض** " [1] بعث بها إلى صديقه " حجي بن قاسم " جوابًا لقصيدة بعث بها " حجي " إليه يقول :

كَسَوْتَ أَخَاكَ ثِيَابَ الثَّنَا ... فَجَازَ فَخَارًا بِهِنَّ السَّمَا

وَأَصْبَحَ يَسْحَبُ أَذْيَالَهُنَّ ... عَلَى ذِرْوَتَيْ نَسْرِها وَالسُّهَا

وَلَكِنْ أَطَلْتَ ذُيُولَ الْمَدِيحِ ... وَأَلْبَسْتَهُنَّ فَتًى ذَا عَمَى

وَطُولُ الذُّيُولِ عِثَارٌ لَهُ ... وَأَنْتَ بَسَطتَ لَهُ فِي الْكِسَا

فَلَا تَنْسِجَنْ مِنْ خُيُوطِ الثَّنَا ... كِسَاءً لِمِثْلِيَ فِي ذَا الْوَرَى [2]

فهذه صورة حسية بارعة رسمها الشاعر بوجدانه ، فجعل الثناء ثيابا يرتديها ويفتخر بها ، وجعل للمديح ذيولًا طويلة يلمسها ويحسها ويتعثر بها على سبيل الإستعارة المكنية ، فلم يستطع السير بهذه الثياب لأنه أعمى، ولعلنا نلحظ الأثر الواضح الذي أدى إلى شعور الشبيب بالعجز والضعف جراء هذه العاهة .

وعندما يشكو من المحن التي ألمت نراه يصور هذه المحن بطريقة حسية بارعة تجذب الانتباه وتثير الشفقة من الآخرين ، لكنه يعود ويتحلي بالصبر

([1]) الديوان ص١١١ .

([2]) النسر ، نجم من نجوم السماء ، كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) تحقيق:د مهدي المخزومي،د إبراهيم السامرائي :دار ومكتبة الهلال ، ج ٧ ، ص٢٤٢. والسها ، كَوْكَبٌ خَفِيٌّ يَمْتَحِنُ النَّاسُ بِهِ أَبْصَارَهُمْ ، المرجع السابق ،ج ٤، ص٧٢ .

علي هذه الخطوب فيقول في قصيدته " **فلي في الصبر ما هو أرحب**" [1]:

لقد طال مني المُكْثُ فِي مَظْلِم الْأَسَى إِذَا انْجَابَ عَنِّي غَيْهَبٌ جَاءَ غَيْهَبُ

وَمَا زالت الأيامُ تَرْمِي صُرُوفُها فُؤَادِي بِمَا مِنْهُ أخَافُ وَأرْهَبُ

إِلَى كَمْ وَقَلْبِي لِلشوَائبِ مَسْرَحٌ إِلَي كَمْ وَقَلْبِي للنَّوَائبِ مَلْعَبُ

إِلَى كَمْ سُرُورِى وَجْهَهُ مُتَجَهِمٌ إِلَى كَمْ مُحَيّا رَاحَتِي مُتَقَطِبُ

إِلَى كَمْ جِهَامٍ من رجائي سَحَابَةٌ وحتَى مَتَى برق الأماني خَلَّبُ

ونلحظ هنا، أنّ تكرار اسم الاستفهام (**كم**) يحمل معانى ودلالات مكثفة، إثر تكراره فجاء محركاً للصور الشعرية،وباعثاً لتوترها العاطفي، والشعوري المحتدم. فالشاعر يريد أن يغوص إلى أعماق وتفاصيل جملته الشعرية، كيف استطاعت أن تستحوذ على هذا التجاذب الجمالي في تفاصيلها حتى من المتناقضات؛ فجمالها ليس ائتلافاً وتناسقاً فحسب، وإنما كان اختلافاً وتجاذباً للصورة .

والكاتب الأعمى سجين التاريخ ، ربما لأن العمى نفسه شكل آخر للسجن، سجن الذات ؛ لذلك يسعى الأعمى إلى فتح كوة في عقله ؛ لكي يطل منها على التاريخ ، فالشبيب يصور العمى بصورة عميقة ، قاسية فيصوره بالقبر الذي يحبس فيه صاحبه ، ولا مجال فيه للخلاص ، فيظل صاحبه حبيس قبره حتى نهاية العالم، كذلك الأعمى يظل حبيس عماه طوال

([1]) الديوان ، ص١٢٨.

حياته ، لايرى النور ويعيش فى ظلام دامس فيقول [١] :

عَمَـى العُميـانِ مقبـرةٌ ولكنْ لَهُـمْ مِنْهَا بِعِلْمِهِـمُ نُشـورُ

كما نراه يصور العمى بالأسر كما سبق وأن ذكرنا ، أضف إلى ذلك سجنين آخرين، هما الإقامة الجبرية الطوعية في بيته (الاغتراب النفسي)، ووجود نفسه الطموحة داخل جسم معاق غير مقبول اجتماعيا.

فنراه يصور نفسه في عماه بالسجين المقيد بالقيود ، التي لا يقوى على التحرر منها، إذ تمنعه هذه القيود من كل ما يشتهي ، حتي أنها حالت بينه وبين واجبه، ثم يصور شدة هذه القيود وقوتها بقيود الأسود المفترسة التي لو قيدت بها تجعلها ضعيفة هزيلة لا تستطيع حماية نفسها ولا حماية مدربها ، وهذا التصوير كناية عن شدة القيود وقوتها وبطشها بصاحبها حتي تجعله ضعيفًا هزيلًا ففي قصيدته " **قيوده عماه** " يقول [٢] :

أحَافِظُ وَهْبَةَ قَدْ كِدتُ آتِي إِلَيْكَ مُسْلِّمًا لَوْلَا قُيودِي
مَجِيئِي للسَّلامِ إِلَيْكَ حَقٌّ وَلَستُ أُجِيزُ عَنْ حَقٍّ قُعُودِي
وَلَكِنْ بِي قُيُودِي مَائِلَاتٌ إِلَى مَا أَشْتَهِي عَنْهُ مَحِيدِي
فَبِي مَالَتْ قُيُودِي مُرْغَمَاتٍ لِإِخْلَالِي بِوَاجِبِي الْأَكِيدِ
قُيُودٌ لَوْ بِهَا شُدَّتْ أُسُودٌ لَخَافَ مِنْ أَلَمِهَا ضَارِي الْأُسُودِ

ونرى التكرار لكلمة (القيود) أكثر من مرة دلالة واضحة على ما يعانيه الشاعر من السجن الداخلي الذي يعيش فيه ، والذي أراد منه إبراز نفسيته وشخصيته المسجونة داخل عاهته ؛ لأن عماه هو محور الاهتمام وهو

---

(١) الديوان ، ص٣٥٠ .

(٢) الديوان ، ص٣٠٢ .

المتسبب في قيده ؛ لذا عبر الشاعر عن لوعته وحاجته للحرية التي تؤرقه كل يوم .

ونراه يرسم صورة بارعة مستخدما حاسة التذوق فيقول [١] :

وحَسْبِي بالعَمى قَيْدًا مُمِضّاً ... فَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ أُدَاهُ مُودِي
لعَمرِي لمْ أرِدْ مَاءً لِغَيرِي ... يَطِيبُ الطَّعْمُ مِنْهُ لدَى الْوُرُودِ
أحُومُ عليه حَوْمَ الطيرِ عَطْشَى ... فَمِنْ صَبَبٍ أظَلُّ إِلَى صُعُودِ

فالشاعر حين يستخدم الصور الحسية لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسّات ، بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالته وقيمته الشعورية والذاتية والنفسية .

ويرى الدكتور "عدنان عبيد" أن الشاعر الكفيف يتخذ البصيرة وسيلة دفاعية نفسية وتعويضية لإثبات الذات وتأكيد الشخصية الفردية في المجتمع وتقوية الروح المعنوية وتخفيف التوتر والانفعال له [٢] .

ونلحظ للدلالة النفسية في تكوين الصورة عند الشبيب مساراته عبر جسور قامت أساساً على دلالات نفسية شكّلت شخصيته الفنية، وكان لهذا الأمر المهم أثره في شعره (من هذه الدلالات انعكاسات طفولته البائسة، وعاهته الجسيمة ، وفقره الشديد ؛ لذا كانت تجربة الذات الشاعرة ومعاناتها ورؤيتها للأشياء والأحداث والناس الذين تثير أعمالهم ونفسياتهم وتطلعاتهم ومصائرهم اهتمام الشاعر بما يشكل مصادر إلهام الأفكار والصور الفاعلة، ولاسيما إذا التقت وشاعراً مبدعاً ذا خيال شعري خلاق، يستطيع ربط الحالات الشعورية

---

(١) الديوان ، ص٣٠٣ .

(٢) ينظر : شعر المكفوفين في العصر العباسي دراسة نفسية وفنية في أثر كف البصر ، عدنان عبيد العلي ، دار أسامة للنشر ،١٩٩٩م ، ص ١٥٣ .

التي يمر بها في حياته اليومية، عبر ذاكرة الصورة الحسية ؛ لأن طبيعة الصورة وفق هذا المنظور، تأتي عن طريق تنمية الخيال بالذاكرة النفسية إثر رجوع الصورة وفق مستجدات طبيعة الحالات النفسية)[١] .

([١])الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبدالقادر فيدوح، دمشق، ط١، ١٩٩٢م ، ص٣٦٩.

المحْوَرُ الثاني

قضيةُ الفقرِ[١] وأثرُها في شعرِ الشبيبِ

شغلت قضيّة الفقر اهتمام أدبائنا ، فمنهم من تناولها بأسلوب ساخر مصوّراً مظاهر فقره، ومنهم من تناولها بنظرة موضوعية إصلاحية، ومنهم من تناولها برؤية تدعو إلى التغيير .

ويعتبرُ الفقرُ أحدَ المشكلات الاجتماعيّة التي عانى منها الإنسان القديم والحديث، ويعني شحّ المادّة وعدم القدرة على تحمّل نفقات وتكاليف الحياة، فيعجز الإنسان عن الاستمتاع بالحياة أو إمتاع أبنائه، ولا يرقى ليعيش الحياة الهانئة والمطمئنّة ضمنَ المستويات المعيشيّة الجيّدة، وتصنّفُ كلُّ بلدٍ من البلدان الفقرَ وفقَ مقياسٍ معين.

والأديب العربي كان جزءاً من المجتمع الذي سلّط الضوء على ظاهرة الفقر، وقد خطّ بقلمه السُبلَ التي يمكن أن يتعامل فيها مع تلك الظاهرة المؤلمة لوجدانه ومشاعره ، وكان لكل أديب نظرتُه في التعامل مع أخطرِ مظاهرِ الحياةِ الاجتماعية .

****علاقةُ الفقر بالذات الشاعرة :**

تناول الأدباء والمفكرون الفقر، ووصفوا مظاهره وأسبابه وآثاره، تناولًا يتراوح بين الوصف والسخرية، أو النظر إليه برؤية إصلاحية غير واقعية،

---

(١) (الْفقر) العوز وَالْحَاجة (ج) مفاقر (على غير قِيَاس) والشق والحز والهم والحرص (ج) فقور وفقر الدَّم نقص بِهِ واضطراب فِي تكوينه يَصْحَبهُ شحوب وبهر وخفقان ، المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات ... وآخرون : دار الدعوة ، ج٢ ، ص٦٩٧ .

أو قناعة إيمانية وأخلاقية وفلسفية ترى الرضا بالفقرَ غنىً وعفةً وقدَرًا مُقدرًا، أو الدعوة الثورية الشاملة للجماهير ضد المستبدين والمستغلين؛ من أجل تغيير واقعهم، واسترداد حقوقهم المغتصبة.

ففي رحم المأساة تولَدُ الطرائف وتترعرع ضحكات البائسين وتشِبُّ الرؤى والنظرات الفلسفية الساخرة، ملخصة مأساة الحياة في أقبح صورها، وتصارع الأضداد فيما بينها.. ويعد شعر صقر الشبيب في الفقر من تلك الطرائف التي تبلور مأساة الإنسانية في بنيتها الاجتماعية والطبقية والفكرية والأدبية [١].

وقد ألمحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشبيب للناس وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبَّهه البعض بالمعري رهين المحبسين ، وكان من هذه الدواعي أيضًا الفقر، فقد ولد شاعرنا فقيرًا وعلى الرغم من أنه أطلق عليه لقب شاعر الكويت ؛ إلا أنه لم يكن له مورد يقتات منه ، وقد حاول مرارًا الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدةً يطلب بها زيادة الراتب الذي حدد له وهو خمسون روبية وكانت قصيدته هذه تحت عنوان « **حقِّ شيخوختي على وطني** » [٢] ومطلعُها :

لَا يَدْفَعُ الْجُوعَ وَالْعرْيَ اللَّذَيْنِ هُمَا شَرُّ النَّوَائِبِ إِيلَامًا وَإِيجَاعا

---

(١) ديوان العرب ، مقال بعنوان الفقر في عيون الأدباء والمفكرين ، بقلم رامز محيي الدين علي ، الجمعة ١٥ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٦ .

(٢) الديوان ص٤٤ .

خَمْسُونَ فِي الشَّهْرِ عَنْ مِثْلِي فَهَلْ لَكُمْ فِـي رَدِّ هَذَيْنِ إِلْبَاسًا وَإِشْبَاعـا

فالشاعر يصف لنا حالة الفقر التي عاشها بأسلوب ساخر، راصداً مظاهره من خلال صور فنية تعكس حالة الانحدار والتردي المعيشي والاقتصادي المهيمن عليه فيصور الفقر بأنه شر المصائب ، وأن راتبه لا يستطيع أن يدفع عنه الجوع أو يكسوه بعد العري ، فيجعلنا نعيش معه حالة الفقر من خلال ألفاظه القاسية التي عبر بها عن فقره مثل (الجوع، والعري، والإيلام ، والإيجاع ...) .

ويقول أيضًا [١] :

قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى الْخَمْسُونَ تُرْضِعُنِي دُرًّا به مُسْكَةُ الْحَوْبَاءِ إِرْضَاعَا

وَمِنْ غَلَا الْقُوتِ وَالْمَلْبُوسِ لَمْ أَرَ لِي فِيهَا لِمَا يُمْسِكُ الْحَوْبَاءِ إِقْنَاعَا

فكان للفقر أثر واضح على ذاته ، ولعل سر ما لاقاه الشبيب في حياته من عناء وإهمال يعود إلى عماه من ناحية ، وفقره من ناحية ثانية ؛ حيث كان مع ذكائه وعلمه وفصاحته واسع الطموح ، شديد الاعتداد بالنفس، سوداوي المزاج ، متطلعًا إلى الرفعة والعلا ... إلى غير ذلك من صفات شخصية وضعت في طريقه المتاعب وحالت دون وصوله إلى ما يريد .

ولعلنا نلحظ الحدة الواضحة في معالجة الشاعر لهذه القضية ؛ لأنها كانت قضية خاصة بذاته، تعايش معها لحظة بلحظة ، وعانى الشقاء والألم والحزن ، كما كان لها الأثرُ الواضحُ علَى شعرِهِ ، فنراه يوضح معاناتَهُ

([١]) المرجع السابق نفسه .

الذاتيةَ من الفقر الذي كان سببًا في عدم ترقِيَتِهِ إلَى المناصبِ الراقيةِ فيقول في قصيدته(**لَا رَاحَةَ بِلَا تَعَب**)[١] :

يَقُولُونَ لِي يَا « صَقْرُ » مَالَكَ عَاطِلاً ... وَقَدْ وَظَّفُوا مَنْ لَمْ يُقَارِبْكَ فِي الْأَدَبْ

فَقُلْتُ لَهُمْ فِي رِبْقَةِ الثَّوْبِ مَانِعُ ... رُقِيٍّ إِلَى تِلْكَ الْمَنَاصِبِ والرُّتَبْ

يُوَلَّى هُنا الْمَرْءُ الْوَظِيفَةَ جَاهِلاً ... عَلَى شَرْطِ أن تُلْفَى مَلَابِسُهُ قُشُبْ

وَيُحْرَمُ مِنْهَا الْمَرْءُ وَالْمَرْءُ عَالِمٌ ... إِذَا لَمْ تَكُنْ مِنْهُ الْمَلَابِسُ بِالنُّخَبْ

وَلَوْ عَقَلُوا كَانَ التَّقَدُّمُ عِنْدَهُمْ عَـ ... ـلَى حَسْبِ مَا تَقْضِي الْفَضِيلَةُ وَالْحَسَبْ

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن إحساس الأسى والحسرة والغصة الخانقة التي تعتصر كيان الشاعر، بما تحمله من زفرات حارقة، وحسرات شعورية منكسرة، إذ يستجمع الشاعر فيها كلَّ مشاعره المستفيضة وقواه النابضة في وصف حالة الظلم التى يعيشها جراء فقره وعجزه عن ملاحقة الركب ، وقد أدى التكرار الصوتي دوره الملحوظ في التنفيس عن هذه الحرقة المؤلمة التي دفعته إلى تكرار حرف (القاف) وهو" حرف هجاء صحيح من الحروف المجهورة اللهوية مخرجها بين عكدة اللسان واللهاة من أقصى الفم [٢] " وهو حرف يدل علي القلق والاضطراب الذي يعيش فيه الشاعر، فجاء تنفيساً عما يعانيه الشاعر من وَطْأَةٍ وَشِدَّةٍ وَضِيقٍ ، وكأَنَّ هذا التكرار جاء ليوطِّدَ الحالةَ

---

(١) المرجع السابق ص١١٣ .

(٢) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) : أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق): دار مكتبة الحياة – بيروت ، جـ ٤/ ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م ، ص٤٧٧ .

الشعوريةَ، بكل دَفْقِها العاطفِيّ، وتوتُّرِها الداخليّ، ونفسها الشعوري المحموم .

كما نجد سيطرة الفقر علي ذات الشبيب وشخصيته وظروفه ، فيلوم الوطن الذي يوجد به الخيرات الكثيرة ولكنه لا يَنْظُرُ إلي أمثاله من الفقراء العُمْيَان ، على الرغم من تميزه وتفوقه وبحثه عن العلم في كل مكان، فيقول لزعيم تونس عندما بعث إليه تهنئة بعيد الفطر يشكو فيها حالته وبؤسَه وشقاءَه وعجزه في عدم الحصول على وظيفة فيقول (١) :

أزَعِيمَ تونُسَ وَالْكُوَيْتُ فَسِيحَةٌ ... قَدْ ضَاقَ بِي مِنْهَا الْفَسِيحُ الْأَرْحَبُ

إنْ يُرْدِنِي بُؤْسِي فَلُومُوا مَوْطِنِي ... بَعْدِي عَلَى تَفْرِيطِهِ بِيَ وَاعْتِبُوا

حَاوَلْتُ إدْرَاكَ الوظيفَةِ جاهِدًا ... بالْقُوتِ مِنْ قومي فعزَّ الْمَطْلَبُ

مَنَحُوا الْوَظَائِفَ كُلَّ مَنْ ضَاقَتْ بِهِمْ ... ذَرْعًا لِجَهْلِهِمُ فَبَاتَتْ تَنْدُبُ

وَأَنَا وَشَكْلِي فِي بِلَادِي مُعْوِزٌ ... أَبَدًا بِكُلِّ وَظِيفَةٍ مُتَجَنَّبُ

مَا كُنْتُ لَوْ أَنِّي ارْتَدَيْتُ مَلَابِسًا ... حَسُنَتْ عَلَى نَيْلِ الْوَظِيفَةِ أُغْلَبُ

فقد سيطر الفقر علي ذات الشاعر وأحاسيسه، حتي بات يطلب العون والمساعدة من جميع من يعرفه ، لكن عزة نفسه تأبَى عليه أن يمد يده لأي إنسان مهما كانت صلة القرابة بينهما، لكنه يطلب وظيفة يجتهد فيها ويعمل بجد حتى يستطيع أن يُحَسِّنَ من حالتهِ الاجتماعيةِ ، وقد استطاعَ الشاعرُ أن يَجْعَلَنَا نُعَايِشَ قضيته بكل ما فيها من حزن وألم من خلال الألفاظ التي جاء بها من مثل (**ضاق ، بؤسي ، اعتبوا ، ضاقت ، تندب ، معوز ، متجنب**) ، وقد أدركنا أن كلمة الضيق المكررة كان لها أبلغُ الأثِر في الكشفِ عن مُضْمَرَاتِ الشاعر النفسيةِ وأحاسيسه الشعورية التي تضج بالحزن والألم والضيق في الحالة الوجدانية التي تملكته، لدرجة التلبث

---

(١) الديوان ص١٣٢ .

والتمثل التام بها.

ومن هنا يتضح لنا كيف كان للفقر علاقة وطيدة بذات الشاعر خاصة أنه اجتمع عليه مع العمَى أيضًا ، مما يزيد من حالة الشاعر البائسة ، واستيلاء الضيق والضجر علي ذاته الجريحة التي لم يجد من يداويها ، لذا لجأ إلي العزلة هروبًا من الواقع المُمض ، ومنعته عزة نفسه من أن يمد يده لبشر مثله .

إنَّ صقرًا عاش فقيراً واقتحمته موجة البؤس؛ لذا نجده شاكياً من الإملاق طوال حياته في الكويت أو خارجها ، ومن شدة الضيق والضَّجَرِ نراه يَشْكُو مصيبةَ الحرمانِ من عدمِ وجودِ الحليبِ الذِي تعوَّدَ عليه منذ صِغَرِهِ حيث كان العثورُ عليه سهلَ المنالِ ، لكنه بعدَ أن أَصبح قَليلَ المالِ لا يَجِدُ إلَى الحليبِ سبيلًا ، فيطلبُ من ذاته الصبرَ على حرمانها من محبوبها ، فكم استقت منه وعاشت معه أفضل أيامها ، فهذه الدنيا يومٌ لك ويومٌ عليكَ فهكذا يقول في قصيدته " مصيبةُ الحرمانِ وَعْظٌ "[1] :

لَقَدْ كَانَ الْحَلِيبُ لَنَا إِلَيهِ	طَرِيقٌ وَاضِحٌ سَهْلٌ رَحِيبُ
وَمُذْ أَصْبَحْتُ لا فَلْسٌ وَلَا مَا	دُوَيْنَ الفَلْسِ نَاكَرَنِي الْحَلِيبُ
فَلَسْتُ أَرَى إِلَيْهِ الْيَوْمَ دَرْبًا	وَكَانَتْ حَسْبَ مَيْسَرَتِي الدُّرُوبُ
فَيَا نَفْسِي عَنِ اللَّبَنِ اصْطِبَاراً	وَإِنْ أَصْبَاكِ مِنْهُ إِلَيْهِ طِيبُ
فَإِنْ أَضْحَى وَمَدْعَاهُ بَعِيْدُ	فَكَمْ أَضْحَى وَمَدْعَاهُ قَرِيْبُ
وَهَاتَا عَادَةُ الْأَيَّامِ فِينَا	تُرَدِّدُهَا الْحَوَادِثُ وَالْخُطُوبُ

فيرمز الشاعر (بالحليب) إلى أيام الرخاء التى كان ينعم فيها بالخير الوفير من المال والبصر ورعاية والدته له ... لكن الآن جفَّ النهر الذي

([1]) الديوان ص١٣٦ .

كان يرتوي منه وضاعت الأيام التى كان يشعر فيها بالأمن والأمان ، وهنا مفارقة بين الماضي والحاضر ، كما يصرح الشاعر بأن حرمانه وفقره عظةٌ وعبرةٌ تخفف الذنوب ، لأنه كان يحلب الشاه وهي لم تشبع ولدها الذي لم يكن له مصدر للرزق غير حليب أمه ، فحرمانه من اللبن الآن هو عقاب له على ما فعله قبل بولد الشاه ذلك فيقول [١] :

لَعَلَّ مُصِيبةَ الْحِرْمانِ وَعظٌ ... بِهِ وَافَتْ تُنَبِّهُنا الذُّنوبُ
فَكَمْ شاةٍ حَلَبْناها وَعَنزٍ ... وَلَمْ تُشْبِعْ صِغَارَهُما الشُّخُوبُ
حَلِيبُ الْأُمِّ لِلْمَوْلودِ قوتٌ ... وَأَخْذِي مِنْهُ غَيْرَ الْفَضْلِ حُوبُ
وَإِنِي الْيَومَ مِنْ مَاضِي صَنِيعِي ... إِلى رَبِي لِيَغْفِرَهُ أتوبُ

ونراه يشكو من شدة البؤس والفاقة وقسوة المجتمع عليه وعلى أمثاله الفقراء ويرسل بشكواه في قصائد إلى الأغنياء ، فهو لا يشكو لمجرد الشكوى ولكن من شدة الفقر والحاجة والألم والحزن فيقول [٢] :

كَأَنِي فِي الْكُوَيْتِ عَلَى رُوَاهَا ... سَكَنْتُ مَفَازَةً حُفتْ بِبِيدِ
شَكَوْتُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ بَنِيهَا ... بِأَشْعَارِي مِنْ الْبؤْسِ الشَّدِيدِ
وَلَوْ أَنِّي حَصُلْتُ عَلَى بَلَاغِي ... لَمَا أَعْلَمتُ بِالشَّكْوَى قَصِيدِي
فَمَا أَشْكُو عَلَى طولِ اشْتِكَائِي ... وَلَوْ بِالتَّافِهِ النَّزْرِ الزَّهِيدِ
فَكُنْتُ كَأَنَّنِي أَشْكُو احْتِيَاجًا ... بُعِلْتُ بِهِ إِلَي صُمٍّ رُقُودِ

وفي تكرار الشاعر للفظة (الشكوى) أكثر من خمس مرات ؛ توضيح لمدى المعاناة التي يعانيها من الفقر والحاجة ، كما نلحظ الكثير من الألفاظ التي تدل علي البؤس والشقاء الذي يعيش فيه الشاعر مثل (الشكوى ،

---

(١) الديوان ص١٣٧ .

(٢) الديوان ص٣٠٣ وما بعدها .

والبؤس ، والاحتياج، والصم ، والرقود ....) مما يجعلنا نتعاطف مع هذه الذات البائسة الفقيرة التي لا يشعر بها أحدٌ من معاصريها ، لذا نراه يشكو من قسوة قلب أصحاب الطبقات التي حباها الله بكثرة المال، فأمسكته عن طبقة الفقراء والمحتاجين قسوة تفوق قسوة الصخور فيقول[1]:

تَبَارَكَ مَنْ أَفَادَهُمُ بُحُورًا	مِنَ الْأَمْوَالِ زَاخِرَةً تَمُورُ
وَأَسْكَنَ فِي جَوَانِحِهِمْ عَلَيْنَا	قُلُوبًا دُونَ قَسْوَتِهَا الصُّخُورُ
فَمَا يُثْجِيهِمُ لِلْبُؤْسِ فِينَا	مَزَامِيرٌ لَهَا أَبَدًا نَعِيرُ
فَصَبْرًا أَيُّهَا الْبُؤَسَاءُ صَبْرًا	فَعُقْبَى الصَّبْرِ يَحْمَدُهَا الصَّبُورُ
فَفِي الصَّبرِ الْجَمِيلِ لَكَمْ رِحَابٌ	إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ لِلْبُؤْسِ دُورُ
لِنَرْقُبْ مَا طَوَاهُ الْغَيْبُ عَنَّا	فَعَنْهُ سَوْفَ تَرْتَفِعُ السُّتُورُ

فالشاعر في هذه الأبيات يشكو فقره ، وبخل الطبقة الغنية علي الفقيرة ، لكنه لم يستسلم ويطلب من ذاته البائسة ومن أصدقائه الذين يعيشون حياة البؤس والشقاء أن يصبروا ويحتسبوا ، ففي الصبر الفرج ، وقد عمد الشاعر إلى إبراز تفاعل ذاته مع القضية المرتبطة بنفسيته محاولًا وضع المتلقي أمام مأساته، ولعل هذا ما يوحي به معجم القصيدة من خلال الألفاظ المستعملة في الأبيات السابقة (القسوة ، الصخور ، البؤس ، نعير ، البؤساء ، الضيق ، الغيب....) كما نلحظ تكرار لفظة (البؤس) مرات متتابعة ؛ وإن هذا التكرار لم يأتِ عشوائياً، وإنما جاء مشحوناً بطاقة فنية عالية، تبدت– بشكل خاص– في تتابع الصور والتكرارات في تتابع مشير إلى التأمل، والبحث عن حيوية هذا التكرار ،ومدى أهميته واشتغاله الفني، وأن هذا التكرار جاء موحداً لحركة الصور، وباعثاً على ترابطها وانسجامها الفني في

([1]) الديوان ص٣٣٦.

التدليل على مظاهر الأسى والبؤس والحرمان الذى يعيش فيه الشاعر مع رفاقه " كما أدي التكرار دوراً فنياً رابطاً لخيوط النص وعلائقه كلها؛ وقد عكس هذا التكرار قلق الذات وانكسارها وتصدعها وإحساسها المأزوم بالفقر والحاجة والبؤس والشقاء وتأثيراتها النفسية والشعورية على المتلقي.

ويشكو من الفقر والحرمان فى بلاده، ويتذكر عهد الجدود بما فيه من رخاء ونماء ، والعهد الحالي الذي يعاني من الفاقة والحرمان ، ويخاطب بلاده الكويت قائلًا : إن الفقير فيها كأنه مذنبٌ، لا أحد يغفر له هذه العاهه، ويشكو من معاملة الناس له بأنه مجرمٌ وشريدٌ فيقول [1] :

يَا بِلادًا فِيهَا الْفَقِيرُ يُعَانِي ... مَا يُعَانِي فِي نَارِهِ نُمرُودُ

لَيْتَ فِيكِ الْجُدُودُ أَسْعَدْنَ أَوْبَا ... لَيْتَهَا فِيكِ مَا نَمَتْنَي الْجُدُودُ

فَالْأَسَاسُ الَّذِي عَلَيْهِ شقائي ... قام أني بفاقتي مصفود

فيك والفقر عند أهليك ذنب ... ما لسبل اغتفاره تمهيد

فلفقري ظللت فيكِ كأني ... دون جرْمٍ طريدُ جُرم شريد

فيلوم الشاعر هذه البلاد التي يعاني فيها الفقير من الجوع والحاجة ، فبسبب الفقر يعيش الشاعر ومن على شاكلته حالة من البؤس والحرمان ، وكأن الفقر ذنب _ لايغتفر _اقترفه الشاعر ، فيصور نفسه بالشريد الطريد دون أن يقترف إثمًا يعاقب عليه .

وشعور الشبيب بالإهمال من بلده ، وسوء المعاملة ، والعنف من الأفراد أو من المجتمع بعامة ، أدى به إلي نوازع نفسية مختلفة ، قادته نحو الشكوى من الآنين الداخلي الملتهب في ذاته المعذبة وعكست تصوراته وهمومه الخاصة.

([1]) الديوان ص٢٧٥.

ومما يدل على شدة الفقر والحزن والشقاء والبؤس الذي يعيش فيه الشاعر من خلال ألفاظه التى سيطرت علي فكره ونفسه مثل: (الفقير ، ويعاني، وشقائي، وفاقتي ، والذنب ، والجرم ، والشريد .....) ، وفي تكراره لبعض الكلمات كتكرار (الفقر، والجرم ، والمعاناة) يجعلنا ندخل إلي عالم الشاعر الملىء بالشقاء والحزن والفقر ، ونشعر بما يشعر به.

ونراه يشكو من التمايز بين الطبقات ، فيتحدث عن قضية الغلاء التي أرهقت الناس، وذادت الأغنياء غنىً ، والفقراء فقرًا ، فيقول في قصيدته **(غلاءٌ وعلاجُه)** [1] :

غَـلَاءُ أَهْلَـكَ الْفُقَرَاءَ جُوعًا وعُـرْيًـا أَهْلَـكَ اللهُ الْغَـلَاءَ
وَزَادَ الأغنياءَ غنًـى ويُبْسًـا كَمَا زِدْتَ الْحَصَى الْمَنْقُوعَ مَاءَ
فَلَسْتَ تَرَى غَنِيًّا عَنْ فَقِيرٍ يُخَفِّفُ مُحْسِنًا هـذَا الْبـلَاءَ

فالشاعر يدعو علي الغلاء بالهلاك وكأن الهلاك شخص ظالم؛ لأنه السبب في ظلم الفقراء ، وتنطلق سجية الشاعر وتثور مشاعره ساخرا من الأغنياء الذين أسرفوا على أنفسهم، ونرى جمال الأسلوب في الطباق بين (الغنى والفقر) ، وتكرارهما يدل دلالة واضحة علي التمايز الطبقي ، وتكراره للفظة (الغلاء) يدل على فداحة الأمر وعظم الخطب ، فالفقير لم يجد قوت يومه بسبب الغلاء الفاحش.

ثم يتوجه إلي الأثرياء بالنصيحة، فيقول لهم إن كل شيء مصيره إلي الزوال وهم سيتركون أموالهم التي يدخرونها ويرحلون، فيجب عليهم أن يقدموا من أموالهم الصدقات علي الفقراء حتي يؤجروا علي ذلك في آخرتهم فيقول :

([1]) المرجع السابق ص١٠٧ وما بعدها .

فَقُلْ لِلْأَغْنِيـاءِ إِلَـى نُهَاكُـمْ ... عـنِ الْأَهـوَاءِ وادَّكِـرُوا الشَّـوَاءَ
فَكُـلِ مِنْكـمْ عَمـا قَلِيـلٍ ... سَيَتـرُكُ مَـالَـهُ مَيْتًـا وَرَاءَ
وَلَيْسَ بِمُفْلِحٍ مَنْ لَـمْ يُقَـدَّمْ ... مِنَ الْأَعْمَـالِ أَحْسَنَهـا جـزَاءَ
وَمَـا كَالْبِـرِّ مِنْ عَمَلٍ فَطُوبَى ... لِمَـنْ لَـمْ يُصْبِحُـواْ عَنْـهُ بِطَـاءَ
وَهَـلْ غَرْسُ الْفَتَى أَجْدَى وَأَزْكَى ... وَأَطْيَـبَ مِنْ مَبـرَّتِـهِ اجْتِنَـاءَ

ويرجع الشاعر البؤس والحرمان والشقاء الذي يعيش فيهم الفقير إلي طمع الأغنياء وجشعهم ، ومنعهم الصدقات على الفقراء ، فيصور مال الأغنياء بالنسبة للفقير كالدواء الذي يشفيه من علله التي أصابته، وهنا تمايزٌ واضحٌ بين الغني والفقير ، فالأغنياء يمنعون أموالهم عن الفقراء ، ولم يعلموا بأن ما ينفقون لا ينقص من أموالهم شيئا بل إنّ المال يزيد وينمو بسبب الصدقة فيقول :

وَلَـمْ يَتَفَشَّ دَاءُ الْبُـؤْسِ لَوْ لَمْ ... يَكُ الْمُثـرُونَ قَدْ مَنَعُـوا الـدَّوَاءَ
وَلَمْ يَصْعُـبْ شِفَـاءُ الدَّاءِ لَكِنْ ... أَرَى الْمُثـرِينَ قَدْ كـرِهُوا الشِّـفَاءَ
وَلَيْسَ بِنَـاقِـصِ الْأَمـوَالِ لَا بَلْ ... يَجُـرُّ لَهـا الزِّيـادَةَ والنَّمـاءَ
وَكَـمْ أَنْصَى الْأَسَى عَنْ بَاذِلِيهِ ... وَأَدْنَـى مِن قُلُوبِهِـمُ الصَّفَـاءَ

فنجد أن الشاعر يستعطف الأغنياء من خلال اقتباسه من **قَول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** : (١) **« مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ .... »** ثم يدعوهم إلي فعل الخير، وأن يفعلوا ما أمرهم الله به من إيتاء الزكاة ، فإذا كان من الصعب تحقيق النوافل فيجب الالتزام بالفروض ، فقد فرض الله

---

(١) مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي: مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢، ١٤٠٧ – ١٩٨٦،ج٢ ،ص١١ .

الزكاة للرفق بالفقراء والمساكين وهو مقتبس من قول الله [١] : « **خُذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا** .... » فالزكاة تطهير للمال من الدنس والشبهات ، فيقول الشبيب :

وَإِنْ تَصْعُبْ نَوَائِبُهُ عَلَيْهِمْ ... فَبَذْلُ الْفَرْضِ يَكْفِيهِمْ حِبَاءَ
زَكَاةُ الْمَالِ كَافِيَةٌ فَهَلاَّ ... رَأَى الْمُتَمَوِّلُونَ لَهَا أَدَاءَ
فَمَا فُرِضَتْ عَلَى ذِي الْمَالِ إِلَّا ... لِتُلْحِقَ بُؤْسَ ذِي الْبُؤْسِ انْتِفَاءَ
وَتَثْنِي مِنْ مَعِيشَتِهِ سُهُولاً ... مَصَاعِبَهَا وَزَعْزَعَهَا رُخَاءَ
فَفَارِضُهَا أَرَادَ بِكُلِّ شَخْصٍ ... مِنْ الْفُقَرَاءِ رِفْقًا وَاحْتِفَاءَ

وهكذا نجد لقضية الفقر عند الشاعر أثرًا بالغًا علي نفسيته وشخصيته وإبداعه الأدبي ، لما لها من أهمية قصوى علي المجتمع بأكمله فقد ورد عن سيّدنا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أنه قال: والله لو كان الفقرُ رجلاً لقتلته، في إشارةٍ إلى عظَم تأثيرِ الفقر على الإنسان وعلى المجتمع أيضاً من الناحية السلبية بالتأكيد، فمن الآثار السيئة للفقر الشعور بالاضطرابات النفسيّة كالتوتر الدائم، والقلق، والاكتئاب، والضيق، وزيادة الأمراض وعدم القدرة على علاجها بكفاءة، الأمر الذي يؤدّي إلى تفشّيها وتهديد حياة وصحّة الأفراد والمجتمع أيضاً.

فالفقر مأساة لا يشعر به إلا من عاش بداخله وترعرع بين جوانحه وذاق مرارة البؤس والحرمان، فشاعرنا عاش حياة العمى، اليتم، الفقر، والفجوة بينهُ وبين والدهِ، كوّنت عوامل الوَحشة في نفسِه، وقد قاسى من هذه الوحشة طُوال حياتِه، حيثُ إنه لم يتأقلم مع الطبائعِ والأفكار السائدة، وكان يتكدّرُ من المجالسِ وينفِرُ عنها مبديًا انزعاجهُ منها، ومع ذلك تبقى شخصيّة صقرٍ

([١]) سورة التوبة، آيه (١٠٣) .

شخصية متفاعلة مع ما يجري حولها، فلم يمنعهُ عمى العينين صبيًا من أن يكونَ من ذوي البصيرةِ كبيرًا، ولم تَقُدْهُ الطبائعُ والأفكار السائدة في المجتمعِ إلى التسليمِ بها أو الخنوعِ لها، إذ قادهُ تأثرهُ لِما يجري حولهُ من قضايا سياسيّةٍ واجتماعيّةٍ إلى توظيفِ اطّلاعهِ الثقافيّ لما يراهُ خيرًا، وبذلك تحدّى المصائبَ والظروف القاسية بقريحةٍ شعريةٍ صادقةٍ هادفةٍ تدعو إلى النهضة، فعبر في شعرِهِ عن الدلالاتِ الذاتية التي كانت حائلًا لهُ دونَ ذلك، إذ أفصحَ عمّا بوجدهِ من مكابداتٍ لحقت بهِ لتنهي أيامهُ إلى الانعزال .

ونلحظ أن أهم ما يميز شعر صقر الشبيب عن شعر غيره من شعراء الكويت الذين ينتمون لنفس المرحلة، أنه قد عني عناية كبيرة بالحديث عن قضايا الذات ، في قصائد راح يبث عبرها شكواه من الناس والدنيا والفقر والعمى ؛ مما أدى إلى عزلته وانفراده عن أقرانه ، وهذا ما وطّده في شعره وبينه في جوانبه النفسية قياساً بشعر المعري وأسباب قوله له ، وكذلك قياساً بثقافة صقر إلى ثقافة المعري الدينية واللغوية والفلسفية ، تزيد من امتلاكه ناصية الفن الشعري وتمّيزه به وإبداعه في رصف الكلمات والمعاني الشعرية.

وقد تأثر صقر الشبيب في شعره بالشعراء القدماء والمعاصرين بشكلٍ ملحوظ، فالنزعة التشاؤمية من سمات شعر ابن الرومي، والفلسفة من سمات شعر المعري، ونفحات الحكمة والرجولة والتحدي من شعر المتنبي، والإصلاح والدعوة لتعليم المرأة من الشعراء المعاصرين كشوقي وجميل الزهاوي [١] .

---

(١) شعر المناسبات عند صقر الشبيب أ. د/ جاس غالي رومي المالكي ، مركز البصرة للدراسات مجلة الخليج العربي/جامعة البصرة، المجلد (٤٤) ، العدد (١-٢) عام ٢٠١٦م، ص٢٤٦ بتصرف .

وفي هذا الصدد يقول عنه الأديب " خالد سعود الزيد "[١] : " هو أحد أعلام أدبنا المعاصر، اصطبغ شعره بنزعة تشاؤمية جرَّت عليه من الويلات ما ألجأه أخيرًا إلى اعتزال الناس " .

**** شيوع الحزن والألم فى شعره الذاتيّ :**

الشعراء يختلفون في إحساسهم بالكون أو بأنفسهم وما حولها اختلافاً مبعثه العمق والحدّة في الإدراك والنفوذ إلى بواطنهم وبواطن ما يصوّرونه، ونرى الشعراء تارة يفيض شعرهم باللذة والفرح وتارة يفيض بالحزن والألم العميق والشكوى ، لكننا لم نشعر بمشاعر الفرح والسعادة في شعر الشبيب ؛ لكثرة معاناته في هذه الحياة، فعانى من العمى أولا ، ومن الفقر ثانيًا ؛ لذا نلمس الحزن والألم في معظم شعره وذلك من قسوة الزمان عليه ، فهو يتساءل عن سبب عداوة الزمان له، فهل كان الزمان عاشقًا ورأى في الشبيب العاذل الذي يريد أن يفرق بينه وبين معشوقته؟ وقد قاسى من الأحزان ما جعله يدرك أنه لو لمس نجوم السماء ما لاح منها كوكبا، ولو حلَّ حزنه بالمحيط لجفَّ ماؤه وما جرى فيه كوكب ، فما بالنا عندما يتمكن من ذات بائسة حزينة فيقول في قصيدته " **فلي في الصبر ما هو أرحب** "[٢] :

لِمَاذَا يُعَادِينِي الزَّمَانُ وَيَعْتَدِي ... عَلَيَّ بِمَا مِنْهُ التَّصَبُّرُ يُسْلَبُ
كَأَنَّ زَمَانِي عَاشِقٌ وَكَأَنَّنِي ... لَهُ عَاذِلٌ وَالْعَذْلُ لِلصَّبِ مُغْضِبُ
أُقَاسِي مِنَ الْأَحْزَانِ مَا لَوْ أَتَلَّهُ ... يَمَسُّ نُجُومَ الْأُفْقِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ
وَلَوْ حَلَّ بِالْبَحَرِ الْمُحِيطِ أَقَلُّ مَا ... يُعَانِيهِ قَلْبِي مَا جَرَى فِيهِ مَرْكَبُ

---

(١) مقال بعنوان شعر صقر الشبيب في عيون النقاد والدارسين ، بقلم غانم عبدالله ، بتاريخ ٧ /أغسطس، ٢٠١٣ ، موقع هتافات أدبية .

(٢) الديوان ص١٢٨وما بعدها .

وقد أشار الدكتور " عز الدين إسماعيل " إلى أسباب متعددة دفعت الشعراء للحديث عن الحزن وجعلت منه ظاهرة طاغية ومسيطرة في شعره، ومن أبرز تلك الأسباب تنامي الشعور بالذات الفردية بدل الجماعية، وهذا يقودنا إلى الحديث عن اغتراب الإنسان المبدع، إذ يأخذ الاغتراب أشكالا متعددة، منها شعور الإنسان بغربته عن عصره ومجتمعه[١] .

ونلحظ سيطرة الحزن والألم علي ذات صقر الشبيب، ونلمح ذلك في معظم أشعاره سواء التي تحدث فيها عن قضيته الأولى (العمى)، أم قضيته الثانية (الفقر) ، فيصف حال الفقير بأن الحزن دائمًا معقود في قلبه، من العسر والضيق، فيلوم علي الأغنياء الذين يبخلون بمالهم وينعونه من الفقراء ، ويصف مالهم بالشر لأنه لم يساعد الفقراء ، ويصف أصحابه بالشقاء ؛ لأنه لا يرجى منه خيرٌ ،وهنا أيضًا شكوى مريرة من التمايز بين طبقات المجتمع فيقول في قصيدته " **فرق كبير** "[٢] :

فَخَيْرُ الْمال مَا يَثْنِي رِواءً ... عِطاشَ الفَقْرِ بَارِدُهُ النَّمِيرُ
وشَرُّ الْمَالِ مَا مَنعتْهُ أيدٍ ... أناسًا أمرُ عُسْرِهِمُ عَسِيرُ
فَأَشْقَى النَّاسِ كُلِّهِمُ غَنِي ... لِعَافٍ لَيْسَ يُرجَى مِنْهُ خِيرُ
وَلَيْسَ يَشُكُّ فِي مَشْقَاهُ مِنّا ... سِوَى مَنْ طَرْفُ نُهيَتِه ضَرِيرُ
تَعَالَى اللهُ مِنْ لَوْ شَاءَ أثْرَتْ ... إِناثُ النَّاسِ طُرّاً والذُّكورُ
فإِغْنَاءُ الْجَمِيعِ مِنَ الْبَرَايَا ... عَلَيْهِ هَيِّنٌ سَهْلٌ يَسِيرُ

---

(١) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،عز الدين إسماعيل ، ص٣٥٢.

(٢) السابق ، ص٣٥٣ .

ويعبر عن حزنه العميق في مقطوعة أخرى في قصيدته (**أصيح**)[1] يؤكد فيها مأساته من العمى والفقر إلى الضيق الشديد من هذا الواقع المؤلم ويؤكد أنه فقير وأعمى معاً ، وأن المجتمع من حوله لا يساعدهُ في سدَّ عوزه وفقره ، وكأنه أصبح مريضاً نفسياً لا يستطيع أن يتخلص منه ، مازجاً بين الشك والقلق والخوف من هذه الحياة الصعبة والمأساة التي يمر بها فيقول :

أصيحُ بِمَنْ لَهُ عَيْنٌ وعَيْنٌ ... وَلَيسَ بِهِ عَلَى عَيْنَيهِ خَيْرُ
فَمَا يَهْدِي ضَرِيرًا فِي طَرِيقٍ ... بِهِ أَلْقَتْ كَلَاكِلَهَا الوُعُورُ
وَلَا يَرْوِي العطاشَ – وإن ألحّوا ... عَلَيهِ بالسؤال_ لَهُ نُمِيرُ
وليس يَشَمُّ عَافٍ من قُتارٍ ... لِمَطْبَخِهِ وَمَطْبَخُهُ عَمِيرُ
فَفِيهِ مِنْ صُنُوفِ الزَّادِ مَالَا ... تَزَالُ لَهُ بِهِ تَغْلِي قُدُورُ
وإن يَجْمَعْهُ والبُؤَسَاءَ نادٍ ... تَغَشَّاهُ لِمَنْظَرِهِمْ نُفُورُ

والحقيقة أن السوداوية تطغى على معظم قصائد الشاعر، وتلفها بطابع من الحزن والتشاؤم، فهو لا يرى في واقعه إلا الحزن والألم والشقاء والحسرة والعقم كل هذا تمكن من ذات الشاعر، وهذا الواقع المأساوي الأليم الذي يعاني منه الشاعر كان بسبب العمى والفقر.

ومحنة الشبيب على المستوى الذاتي ليست بأقل قسوة من محنته على المستوى العقلي فلقد عاش الشاعر في زمن كثرت فيه الاضطرابات فمن محنة عماه إلى بؤسه وشقائه بسبب الفقر ، فقد عانى الشاعر من الفقر والحرمان نتيجة التفاوت الطبقي والظلم، في بلد يطفح بالنفط ويتحكم الجوع بأبنائه؛ لذا كان على هذه الذات الشاعرة أن تئن من الواقع المؤلم الذي

([1]) السابق ، ص٣٣٥ .

تعيش فيه .

ومن الطبيعي أن يشعر الشبيب بالحسرة والحزن وهو يجد نفسه يعيش غريبا في مدينتة العربية ، لكنه ينكر وجه تلك المدينة التي تغيب فيها ملامح الحياة الإنسانية الحرة الكريمة فيقول في قصيدته" لن يعيث"([١]):

لِكُلِّ سِهَامِ مُوجِعَةٍ فُؤَادِي ... أَرَاهُ فِي الْكُوَيْتِ غَدًا نَجِيثَا
إِلَى كَمْ أَسْتَجِيرُ وَلَا مُجِيرُ ... وَكَمْ ذَا أَسْتَغِيثُ وَلَا مُغِيثَا
كَأَنِّي بَيْنَكُمْ ذِئْبُ خَبِيثٌ ... وَكُلٌ يَكْرَهُ الذِّئْبَ الْخَبِيثَا
فَإِن يُغْضِبكُمُ نُصْحِي فَإِنِّي ... بِسَيْرِي فِي النَّصِيحَةِ لَنْ أَرِيثَا
سَأَبْقَى مِثْلَ مَا أَنِّي قَدِيمًا ... بِحَبلِ الصَّبرِ مُعْتَصِمًا حَدِيثَا
حَثِيثًا سَيْرُ نُصْحِكُمُ إِلَيْكُمْ ... فَسِيرُوا بِالْأَذِيَّةِ لِي حَثِيثَا

لقد اجتمعت للشبيب من عوامل الحزن والأسى ما تنوء بحمله الجبال، فهو يعاني من العمى، والفقر، والاضطهاد ، وعدم الحرية ، وعزلته واغترابه النفسي عن الناس والمجتمع ، إلي جانب وفاة والده ، وزواجه الذي انتهى بالفشل ثلاث مرات ....وغير ذلك من المآسي التي عاصرها الشبيب.

ولعلنا بعد هذا العرض نستطيع أن نستخلص الخصائص الفنية لقضايا الذات عند الشبيب والتى من أهمها :

شيوع أسلوب الشكوى والحزن فى شعره الذاتى ، وبروز النزعة التشاؤمية التى بدت واضحة في شعره ، كما نلمس الإكثار من الصور القاتمة الحزينة التي كانت تعبيرًا عن نفسية الشاعر وبيان مدى سيطرة الحزن والألم على ذاته ، وكذلك لا نستطيع أن ننكر دور التكرار اللفظي أو الصوتي فى

([١]) الديوان ، ص٢٤٥.

جمال الإيقاع الذى استطاع الشاعر من خلاله أن يجذب انتباه القارئ والسامع ، والألفاظ التى جاءت تابعة للمعنى فى دلالتها على الحزن والتشاؤم والظلم الذى يعيش فيه الشاعر ، ولعلنا نلحظ أيضًا أنَّ شعر صقر الشبيب يتميز في أغلب الأحيان بالحديث عن ذاته عن طريق بث شكواه من العمى والعجز، ومن الناس وجور الدنيا عليه ، ومن الفقر والحرمان ، ولكن رغم عصريته في أشعاره فإنه لم يستطع التخلص من ثقافته التقليدية في لغته ومعانيه وأسلوبه وصوره الشعرية التي كان ينظمها معبرًا عن حالات نفسه من الغضب والسخط والرضا والشك في الناس والمجتمع من حوله .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام علي خاتم النبيين والمرسلين .

يعد الشعر أرقى الفنون على الإطلاق وأجمعها، تلتقي فيه أطراف الفنون وتتمازج ، ليغدو من بينها لونًا فريدًا ، يبرأ من خرس الألوان في الرسم ، ويعلو على نغمة الرنين الموسيقي، فن ناطق بذات قائله معبر عن أفكاره ومشاعره ونفسه وشخصيته ، مما يؤدي إلى عمق التأثير في نفس القارئ ووجدانه ومشاعره .

وانطلاقًا من تمازج الفن الشعري بالذات فكرًا وإحساسًا وشعورًا ، كانت رؤية هذا البحث الذي تحدد عنوانه « **قضايا الذات ودلالتها في شعر معري الكويت صقر الشبيب** » فبعد استعراضنا لقضايا الذات عند صقر الشبيب أمكننا الوصول إلى عدّة نتائج ، يمكن رصد أهمها فيما يلي:

- أن جلّ الفنون الإبداعية تنبع من ذات إنسانية متميزة، لها قدرة فذة على خلق إبداعٍ متفرد، والشعر هو أحد هذه الفنون بلا شك، فهو شعورها الداخلي، ومنجزها القولي الإبداعي الذي تصوِّر به آمالها، وانطباعاتها، ورؤاها في كل ما يحيط بها من عناصر الكون والحياة، وهذا الإحساس والتفاعل مع الموجودات ينشأ داخل الذات الشاعرة ، وفي داخلها أيضا تتخلق العملية الشعرية ، مستوعبةً هذه التفاعلات ممتزجةً بها .
- يعد الشاعر صقر الشبيب من الشعراء الذين أسهموا في تجديد وتطوير موضوعات الشعر الكويتي وأبعدوه عن الرتابة والملل عن طريق تطوير المفردة وعدم السير على المنهج القديم بكل قواعده

المعروفة من الوقوف على الطلل، وذكر الأحباب، والأماكن التي سكنتها الحبيبة وما شابه ذلك.

- كما نلمس امتلاكه ناصية الفن الشعري وتميّزه به وإبداعه في رصف الكلمات والمعاني الشعرية ، ونلاحظ أنه استقى أغلب مصادر ثقافته الشعرية من المصادر القديمة بطابعها التقليدي ؛ فنظر فى دواوين الشعراء المتأخرين والمتقدمين من أمثال المعري، والبحتري، والمتنبي، وابن الرومي، وشوقي، والزهاوي، وحافظ إبراهيم وغيرهم .
- إعلانه زهده وتعففه في حياته اليومية داعياً الموت أن ينزل به، على نمطية أبي العلاء المعري ولا سيما في أُخريات أيامه لذا أطلق أغلب الدارسين المحدثين عليه (بمعري الكويت) لما كان يشكو من فقر وعوز وفاقة وعزلة، وكذلك شكواه من الحياة كلها، وهذا ما وطده في شعره وبينَه في جوانبه النفسية قياساً بشعر المعري.
- نلحظ أنّ معظم موضوعات قصائده الذاتية كانت تدور في قضيتين يصورهما في جُلّ شعره وهما محنة عماه ، ومشكلة فقره ، ونراه يكرر محنتيه في أغلب قصائده وما يتعرض له من مصاعب كان يلاقيها في شوارع مدينته، وكذلك مع قائده الذي لا يحسن التصرف، في مصاحبته مما يعرضه إلى مصاعب في سرعة الحركة واختصار الطريق المؤدي إلى بيته منزعجاً من هذه الحالة.
- كما نشأ عن فقد الشبيب بصره اختلاف في أنماط سلوكه وعجزه عن الرؤية جعله في مجال الإدراك أقل حظاً من المبصر ، فكان عالمه بسبب ذلك عالماً ضيقاً محدودا لنقص خبراته في العالم الذي يعيش فيه .
- كانت قضية العمى من أهم أسباب عزلته وغربته النفسية ، ومن أهم

القضايا التى كان لها الأثر الواضح في شعره ، كما كانت هذه الآفة سببًا في اكتسابه عزة النفس والترفع عن الدنايا .

- نلحظ أيضًا أنه قرن عماهُ الذي كان يعاني منهُ بعمى أبي العلاء المعري الذي يُعد شاعره المفضل ومثله الأعلى في هذا المجال بل حتى في حياته اليومية مع أصدقائه في المجتمع كان يتحرج من زيارتهم بسبب محنة العمى وتأثيرها عليه وعلى شخصيته ونفسيته وشعره .
- واتضح من خلال البحث أن الشبيب مثال للشعراء المكفوفين الذين تفوقوا على الآخرين المبصرين في خلق صور رائعة ، واتضح ذلك من خلال اعتماده علي التصوير الحسيّ ، فحاسة السمع هي الحاسة الأولى التي أحلها الشاعر محل البصر ، فضلًا علي قدرتها في الإدراك الجمالي أكثر من الحواس الأخرى ؛ لازدواجية الوظيفة التى تقوم بها ، كما يعتمد الأعمى إلي حد كبير جدًا على أصوات الناس واختلافها نوعًا وحدّة ، فبحاسة السمع يستطيع الأعمى أن يزن شخصية الشخص الذي أمامه وكيف يميز لهجة الصوت بين فرد وآخر بدقة تجعله لا يكاد يخطئ اسم صاحبه .
- ونلحظ للدلالة النفسية في تكوين الصورة عند الشبيب مساراتها عبر جسور قامت أساساً على دلالات نفسية شكّلت شخصيته الفنية، وكان لهذا الأمر المهم أثره في شعره .
- كما كان للفقر أثر واضح على ذاته ، وربما كان ما لاقاه الشبيب في حياته من عناء وإهمال يعود إلى عماه وفقره ، ولعلنا نلحظ الحدة الواضحة في معالجة الشاعر لهذه القضية ؛ لأنها كانت قضية خاصة بذاته، تعايش معها لحظة بلحظة ، وعانى الشقاء والألم

والحزن ، كما كان لها الأثر الواضح على شعره .

- كما نلحظ كثرة شكواه من شدة البؤس والفاقة وقسوة المجتمع عليه وعلى أمثاله الفقراء ويرسل بشكواه في قصائد إلى الأغنياء، فهو لا يشكو لمجرد الشكوى ولكن من شدة الفقر والحاجة والألم والحزن .
- كما يرجع الشاعر البؤس والحرمان والشقاء الذي يعيش فيهم الفقير إلي طمع الأغنياء وجشعهم ، ومنعهم الصدقات على الفقراء .
- كما اتضح ما لقضية الفقر عند الشاعر من أثر بالغ علي نفسيته وشخصيته وإبداعه الأدبي ، لما لها من أهمية قصوى علي المجتمع بأكمله .
- وفي النهاية وبعد المعايشة التامة لقضايا الذات نلحظ سيطرة الحزن والأسى علي ذات الشاعر ونفسيته وشخصيته ، ومن ثم كان لقضيتى العمى والفقر في شعر الشبيب أثر لا ينكر في تفكيره وأسلوب صوره ومعانيه، إذ أرغمته على إعمال الفكر وقدح الذهن، رغبةً في مجاراة المبصرين،, وتفوقه عليهم ونصرةً على شعور النقص، كما بدا لهما التأثير النفسيّ في دفع صاحبها إلى الوحدة والانعزال والانقطاع عن الناس .

التوصيات:

لكي يستمر البحث العلمي ويزداد الإقبال عليه ، أوصي أهل العلم والقائمين عليه بما يلي :

* تشجيع طلاب العلم على دراسة التراث الكويتي ، فهو لا يقل روعة وإبداعا عن الشعر العربي ، في مصر وغيرها لأن معظم طلاب العلم لا يعرفون عن الأدب الكويتي إلا القليل .

* أوصي بإعادة طبع نسخ من دواوين الشعراء في الكويت ؛ لتكون بين يدي القراء والدارسين المصريين ، بما يفتح آفاقا جديدة للبحث والدراسة ، حيث إن دواوينهم نادرة الوجود .

* دراسة جميع الاتجاهات الموضوعية والفنية عند صقر الشبيب .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبدالقادر فيدوح، دمشق، الطبعة الأولي ١٩٩٢م .
- الاتجاه الوجداني فى الشعر العربي المعاصر د/ عبدالقادر القط ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٨م .
- الأدب وفنونه – دراسة ونقد ، د/ عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثالثة ،١٩٧٤م ، دار الفكر العربي .
- الأسس الجمالية في النقد العربي ، د/ عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثالثة١٩٧٤م ، دار الفكر العربي .
- تاريخ الكويت تأليف ، عبدالعزيز الرشيد ، مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ١٩٧٨م.
- التجديد في ذكرى أبي العلاء المعري د/ طه حسين ،الطبعة السادسة ، دار المعارف ١٩٥١ م.
- ديوان بشار بن برد ، أشعر المولدين علي الإطلاق ، إعداد/ محمد عبدالرحيم ، الطبعة الأولي لبنان دار الراتب الجامعية ، بدون تاريخ .
- ديوان صقر الشبيب ، جمعه وقدم له أحمد البشر الرومي ، الطبعة الثانية، الكويت ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠٠٨م.
- الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د/ عبدالواسع الحميري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولي ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .
- السخرية فى شعر عبدالله البردوني ، رسالة ماجستير ، إعداد الباحث / مساعد بن سعد بن ضحيان الذبياني ، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القري .
- سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته ، سيد خير الله ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة .
- سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة _ الخصائص والسمات _ عبد الرحمن سليمان ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة الطبعة الأولي ٢٠٠١ م .

- الشاعر والذات المستبدة ، د. صالح زيّاد، ط عالم الكتب الحديث، الأردن ١١٣٤ هـ .
- الشعر الحديث في الكويت إلي عام ١٩٥٠، مشاري عبدالله السجاري- وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٨.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،عز الدين إسماعيل .
- شعر العميان ،الواقع ،الخيال ،المعاني والصور الفنية (حتي القرن الثاني عشر الميلادي) د/ نادر مصاروه ، دار الكتب العلمية ١٨٧١م ، بيروت لبنان .
- شعر المكفوفين في العصر العباسي دراسة نفسية وفنية في أثر كف البصر ، عدنان عبيد العلي ، دار أسامة للنشر ،١٩٩٩م
- شعر صقر الشبيب–دراسة وتحليل ، أحمد عبدالله العلي، ذات السلاسل ، الطبعة الأولي.
- الشعر في الكويت ، د/ سليمان الشطي ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، العدد ٤٠٩، ٢٠١٤م.
- الصورة البصرية في شعر العميان ، د/ عبدالله المغامري الفيفي ، دراسة نقدية في الخيال والإبداع ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ،الطبعة الأولي ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .
- الصورة الفنية في شعر صقر الشبيب ، للباحث حامد محمد خصيوى المطيري ، إشراف أ.د/ سعود محمود عبدالجابر للعام الجامعي ٢٠١١، ٢٠١٢م .
- قصة الأدب في الحجاز : عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى: مكتبة الكليات الأزهرية .
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د/ محمد زكي العشماوى ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩م.
- كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) تحقيق:د مهدي المخزومي

  د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.
- لسان العرب أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
- المدخل إلى علم النفس،عبدالله الحي موسي،الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانكي بالقاهرة ١٩٩٤م.

- مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي: مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.
- المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية دط ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٤٠٢هـ.
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات ... وآخرون . دار الدعوة، بدون تاريخ .
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) : أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق): دار مكتبة الحياة – بيروت، جـ ١٣٧٩/٤ هـ- ١٩٦٠م.
- النقد الأدبي ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

**** الرسائل العلمية ، والمواقع الإلكترونية :**

- ديوان العرب ، مقال بعنوان (الفقر في عيون الأدباء والمفكرين) ، بقلم رامز محيي الدين علي ، الجمعة ١٥ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٦ .
- مجلة الخليج العربي/جامعة البصرة ، شعر المناسبات عند صقر الشبيب أ. د. جاس غالي رومي المالكي ، مركز البصرة للدراسات، المجلد (٤٤)، العدد (١-٢) عام ٢٠١٦م .
- مجلة الكتب العربية، مقال بعنوان ، وقفة مع الكاتب صقر الشبيب ، بقلم عبدالرزاق البصير ، بتاريخ ١٢/١ / ١٩٩٣م .
- مجلة جامعة البعث ، عقدة العمى في شعر بشار ، علاء الدين علي ناصر ، قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية –، مجلد(٣٦)، العدد (٧)، ٢٠١٤م .
- مجلة رسائل الشعر ، مقال بعنوان / فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، بقلم عصام شرتح ، السنة الثالثة ، العدد التاسع ، ٢٠١٧م.
- مقال بعنوان شعر صقر الشبيب في عيون النقاد والدارسين ، بقلم غانم عبدالله، بتاريخ ٧ /أغسطس، ٢٠١٣ ، موقع هتافات أدبية .